الواقع البوزانكيتي بين النظرية والتطبيق

د. دعاء طه سلامة أحمد البيار*

المستخلص

إن الوجود الإنساني هو الوجود الوحيد الأصيل في هذا العالم (كما أراده الله)، هذا الوجود تملؤه العديد من المعاني والقيم الراقية، وبوجودنا في هذا العالم المتشابك المتناظر المتناحر، لابد من السعي نحو الأفضل والأسمى مهما كانت الظروف.

ويُعد الفكر المثالي المطلق هو الفكر الذي يهتم بقوة العقل بصفته المعني بالذات الإنسانية، وطريقة تعاملها مع الواقع، وخير مثال لهذا الفكر هو الفيلسوف المعاصر "بوزانكيت" الذي أكد على ضرورة وأهمية الوجود العقلي الإنساني، بما فيه من إدراك وإبداع مع الوجود الواقعي المادي بما يحمل من ظواهر وموضوعات خارجية أخلاقية وعلمية.

وعليه؛ حرصت الباحثة في هذه الدراسة على طرح أسئلة تمس صميم فكرنا وواقعنا مما جعلت إشكالية البحث تكمن في السؤال الآتي وهو:

كيف يتعامل العقل الإنساني في ظل فكر بوزانكيت مع الواقع التجريبي وما به من قيم يحسن تطبيقها على أرض هذا الواقع؟ وكيف طبقت هذه القيم في إطار هذا الواقع؟

الكلمات المفتاحية: بوزانكيت - النظرية - التطبيق - فيلسوف معاصر.

Bosanquet reality theory and application

Dr. Doaa Taha El Bayar

Abstract

Man's existence is the only form of authentic existence in this world (as God had intended). This existence is charged with multiple meanings and sophisticated values that go hand in hand with our existence. It is a must to go after the absolute best and the most noble regardless of the circumstances.

The perfect ideology is the one that focuses on the mind and the way it deals with positive reality. The best example for matter is through contemporary philosopher Bosanquet, who emphasized on the necessity and importance of the mind in terms of awareness and creativity in the real world—the world that holds among many phenomena, and extra matters that are concerned with morality and science.

Accordingly, the researcher has been keen on addressing the questions that are concerned with our thought core and our reality, which makes the issues of the research reside in the following: How does the human mind deal under the Bosanquet ideology with the experimental reality alongside the other values it holds that are better off applied in reality? How were these values applied in the real world?

Keywords: Bosaquet - Theory and Application - Contemporary philosopher.

* مدرس فلسفة حديثة ومعاصرة، كلية الآداب - جامعة دمنهور.

مقدمة

تهتم الفلسفة المثالية[*] بقوة العقل الإنساني بصفته الصيرورة الحقيقية لكل ذي أهمية في هذه الحياة، وما عداه من القوى المادية التجريبية ليست بهذه الأهمية. فالأساس هو العقل والإدراك والملكات المنطقية. وبما أن الفكر هو لب جوهر العقل، اذا فهو المعني بالذات الإنسانية وطريقة تعاملها مع الواقع التجريبي.

وهنا يثار سؤال هو: **كيف نتعامل كبشر مع هذا الواقع الخارجي من خلال الفكر الفلسفي المثالي؟**

هذا سؤال هام يجعلنا ندخل في أعماق الفلسفة، ولا يمكن الإجابة عليه إلا من خلال الفلاسفة الحكماء، حيث ينظر الفيلسوف ويدقق ويحلل. وعليه؛ اهتم الفلاسفة في القرون الحديثة بعملية تحليل وترجمة الفلسفة النظرية إلى فلسفة عملية بالفعل، وليس الاكتفاء بالتنظير. ومنه وصلت إلى التطبيق عمليا في عالم الواقع الخارجي من خلال هذا الفكر الفلسفي الذي اهتم بحياة الإنسان، وعيشته في أمن وأمان باتباعه سلوك سليم عن طريق خلق قيم وإبداعات إنسانية، حيث أن القيم الأخلاقية هي المعيار الرئيسي للإنسان في تقدمه وازدهاره، ذلك لأنها تدفع بالإبداعات الإنسانية، سواء كانت علمية أم فنية أم جمالية؛ إما نحو الرقي إلى أعلى الدرجات أو تنحدر نحو الاضمحلال.

وقد اخترت من الإبداعات الإنسانية؛ الفنية والجمالية – دون العلمية والمنطقية- لما تحمل من قيم ومعاني يمكن أن يفهمها المجتمع بجميع طبقاته؛ بسهولة.

وحيث أن الثابت هو ملاحظة أن رجال الدين والقيم الأخلاقية يؤكدون على السلطة النهائية لهذه القيم، واضعين الإبداعات الإنسانية في زاوية محدودة وتحت توجيه قوة اجتماعية مسئولة عنه، بينما يدافع المبدعون عن وجهة نظرهم، نظرا لأهمية الموضوعات الإبداعية وتأثيرها العقلي والانفعالي والمنفعي على المجتمع، وفي ظل الواقع التطبيقي، أدى ذلك إلى وجود رأيين متطرفين: الأول يمثل استقلال الأحكام القيمية الأخلاقية عن الأحكام الإبداعية الجمالية والفنية، والثاني يؤكد على الالتزام بما هو إبداعي بغض النظر عما هو أخلاقي، وبين هذين الرأيين توجد آراء تتخذ موقف الوسطية كأن يقال أنهما مختلفان، لكن من الممكن أن تقوم بينهما علاقة.

---

[*] **المثالية** Idealism بصفة عامة تعطي الأولوية للعقل الإنساني مع إهمال الجانب المادي واعتباره شيء ثانوي منفصل عن العقل الإنساني الذي يعي ويدرك وجودها إدراكا عقليًا.

وتنقسم المثالية إلى **مثالية ذاتية** Subjective Idealism، والتي ترى أن المعارف الإنسانية هي مُثل وأفكار، ولا توجد خارج الذات. أما المثالية الموضوعية Objective Idealism، ترى أن المعرفة ذات طبيعة مثالية مستقلة عن الذات، خارج الذات، على الرغم من أن المعرفة مصدرها العقل، إلا أنها ليست من صُنع العقل، لكنها من صنع العالم المثالي، وسميت **بالموضوعية** لأن العقل المدرك يلتزم بموضوع الإدراك، ولا يؤثر فيه، بل إن الذات هي التي تؤثر فيه. كما أن **المثالية النقدية** Absolute Idealism، رفضت النظرة الواحدة في المعرفة، ووصفت الخبرة الحسية بأنها عمياء Blind، لذا لابد لهذه الخبرة أن تستعين بالعقل الذي وظيفته الاكتشاف والتأليف، أي اكتشاف ما يجيء من خارج الذات، وما يضيفه الفكر من معاني تجعل التجربة ممكنة، ومن ثم تصبح المعرفة ممكنة، إذا توافرت شروطها وهي: المكان، الزمان، المقولات. وعن **المثالية المطلقة** فهي تعترف بالذات الإنسانية الفردية، وتزيل الفواصل بين الفكر الداخلي والواقع الخارجي، فيتحد الجميع في "كل" واحد.

اعتمدت في هذه الفقرة على المراجع الآتية:

(١) محمد ثابت الفندي: مع الفيلسوف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ص ١٧٦ – ١٨٠.

(٢) محمد علي أبو ريان: الفلسفة ومباحثها، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ٢٠٤.

(3) Ewing A. C. Idealism in: the Concise Encyclopedia of Western philosophy and philosophers, edited by: J.O, Urmson and Jonathan Ree, Routledge, London and New York, 1989, p. 146.□

وعلى هذا، فإن الهدف من هذا البحث هو تقديم رؤية شمولية متكاملة عن العلاقة بين كل ما هو أبستمولوجي وكل ما هو أنطولوچي، إذ إن الوجود الإنساني هو الوجود الوحيد الأصيل في هذا العالم (كما أراده الله)، هذا الوجود تملؤه العديد من المعاني والقيم. وفي خضم هذا العالم؛ المتشابك، المتناظر، المتناحر، لابد من السعي نحو الأفضل والأسمى مهما كانت الظروف.

وبما أن بوزانكيت يُعد من أبرز الفلاسفة المعاصرين، الذين أكدوا على ضرورة وأهمية الوجود العقلي الإنساني، بما فيه من إدراك وتصور وتخيل مع الوجود المادي الواقعي، بما يحوي من موضوعات وظواهر خارجية علمية وإبداعية. لذلك حرصت في هذه الدراسة على تجميع الأفكار البوزانكيتية ووضعتها في إطار متكامل، كما طرحت أسئلة تمس صميم فكرنا وواقعنا، مما جعلت إشكالية البحث تكمن في السؤال الآتي، والتي حاولت الإجابة عليه؛ وهو: **كيف يتعامل العقل الإنساني في ظل فكر بوزانكيت؛ مع الواقع الخارجي، وما به من قيم يحسن تطبيقها على أرض الواقع؟**

ولكي نُجيب على هذا السؤال يتطلب الأمر أن نقتبس أفكار بوزانكيت، ونُجيب على عدة تساؤلات رئيسية هي:

- كيف أثرت الأجواء التي نشأ وعاش فيها بوزانكيت على فكرة الفلسفي؟ وهل ينتمي إلى الهيجلية القديمة أم الجديدة؟
- ما هي نظرة بوزانكيت للوجود الواقعي بما يحتوي من موضوعات وظواهر وقيم أخلاقية وإبداعية؟
- ما هي أوجه التشابه بين إدراك ما هو واقعي وما هو قيمي أخلاقي وإبداعي؟
- كيف عالج بوزانكيت القيم الأخلاقية والإبداعية في إطار فلسفته؟ وكيف طُبقت هذه القيم في إطار الواقع؟ وهل أتى بوزانكيت بإضافات جديدة في نظرته لهذه القيم؟
- هل جعل بوزانكيت الأمر الأخلاقي في المجتمع هو المحدد لمستوى العمل الفني؟

وللتحقق من هذه التساؤلات قسّمتُ الدراسة إلى مقدمة، وثلاث نقاط، ونتائج توصلت إليها أثناء البحث.

أما **المنهج المُتبع** في هذه الدراسة: هو المنهج التحليلي، حيث اعتمدت هذه الدراسة في كثير من مواضيعها على التحليل منهجا يفتح السبيل إلى الوصول إلى تناول الفكر البوزانكيتي والمؤثرات على فكره سواء بالسلب أم بالإيجاب، والتي نستخرج من خلاله نظرة بوزانكيت للواقع الخارجي، ومثاليته التي في ظلها يدرك موضوعاته الأخلاقية، والإبداعية، سواء الجمالية أم الفنية. ويتطلب هذا التناول استخدام منهجا مقارنا، وذلك من خلال توضيح الأخلاق البوزانكيتية، وعلاقتها بالجمال البوزانكيتي، وما ينبثق عنه من فن، وكيفية تطبيقهما في الواقع. □

الواقع البوزانكيتي بين النظرية والتطبيق

أولاً: بوزانكيت، والمؤثرات على فكره

١- حياته واهتماماته.

٢- المؤثرات الفلسفية على فكره:

أ- هيجل وفكره المؤثر على بوزانكيت.

ب- برادلي وفكره المؤثر على بوزانكيت.

ثانياً: الواقع البوزانكيتي، وكيفية الحكم عليه

١- مثالية الواقع.

٢- الحُكم الواقعي البوزانكيتي.

٣- الحُكم القيميم البوزانكيتي وعلاقته بالواقع.

أ- الحُكم القيمي الأخلاقي.

ب- الحُكم القيمي الجمالي.

ثالثاً: القيم البوزانكيتية وتطبيقها في الواقع

١- الأخلاق البوزانكيتية في الواقع التجريبي.

٢- السياسة البوزانكيتية.

٣- الدين والفلسفة والعلم.

٤- الجمال البوزانكيتي.

أ - الجمال، في الواقع، وفي الفن.

ب - الجمال، وعلاقته بالأخلاق.

النتائج.

المصادر والمراجع العربية.

المصادر والمراجع الأجنبية.

أولاً- بوزانكيت، والمؤثرات على فكره:

حان موعد توضيح من أين أتى فكر بوزانكيت، فهل جاء فكره من نشأته وبيئته التي عاش فيها، والمؤثرين على فكره من أساتذته ومعاصريه؟ أم جاء فكره من فلاسفة سابقين ومؤثرين عليه؟

(١) حياته واهتماماته:

ولد بوزانكيت في إنجلترا، وعاش ما بين ١٨٤٨ — ١٩٢٣م، ونظراً لأنه من أسرة متدينة فقد اعتنق الديانة المسيحية منذ صغره، ودرس تعاليم الإنجيل، وفي هذا الوقت كان الفكر التجريبي سائدا في عصره، هذا الفكر يقوم على أساس تجريد الوعي من ميدان الواقع التجريبي، والنظر إلى الأفراد بطريقة مجردة، بوصفهم أشخاص معزولين بعضهم عن بعض، بهذا يفصل هذا الفكر؛ العالم الخارجي الواقعي عن العالم الداخلي الفكري للإنسان.

في هذه الأجواء درس وتعلّم بوزانكيت في جامعة أكسفورد ما بين عامي ١٨٧١— ١٨٨١م، ثم قام بالتدريس في جامعة سانت أندروز ما بين عامي ١٩٠٣- ١٩٠٨م، وما بين سنوات دراسته وتدريسه بالجامعة؛ بدأ يظهر تيار يدعو إلى مخالفة الفكر التجريبي الذي كان سائدا في إنجلترا، ويتجه إلى الفكر المثالي، ولاسيما المثالية المطلقة[١].

هذا ما أكده رودلف متس بقوله[٢]: أن إحياء المثالية في إنجلترا كان لسببين هما:
إتقان الطلاب بجامعة أكسفورد للفلسفة المثالية الروحية للرد على الخارجين عن الدين، أمثال المذهب الطبيي المادي والداروينية وغيرهما. هذا بالإضافة إلى تحرير الفكر الإنجليزي من خضوعها لتراثه التجريبي، هذا التراث الذي فشل في معرفتنا بتفسيرات معقولة عن السلوك الإنساني والتطور الاجتماعي المهتم بتحليل المجتمع الإنساني وانخراط الأفراد في العلاقات الاجتماعية.

وبما لا يدع مجالاً للشك، اتجه الطالب بوزانكيت إلى أساتذته بجامعة أكسفورد أمثال توماس هل جرين[*] الذي ينتمي إلى الهيجلية الجديدة، والذى نجح في نقل الفكر الهيجلي إلى طلاب الجامعة، هذا ما جعله يدعو طلابه إلى الاتجاه المثالي في التفكير، الذي يدعو إلى ذات إنسانية ليست منعزلة، بل ذات تسعى إلى تحقيق نفسها وانخراطها في الحياة الاجتماعية، ومن ثم في الحياة الأخلاقية والإبداعية. وهذا يعني أن الفرد - من وجهة نظر جرين- لا ينعزل عن المجتمع، وإلا يُعتبر تجريد محض، كذلك المجتمع لا يكون شيئا بدون الأفراد، فتقدم شخصية الفرد يعني تقدم الإنسانية، هذا الفرد يعني بدوره الوعي والتفكير والإرادة، وفي هذا الوضع يكون التحقق الذاتي للأفراد؛ داخل المجتمع[٣].

وبذلك يتحقق الخير الأخلاقي، الذي هو خير مشترك بمقدار ما يعيش الناس حياة تعاون مشترك، والفعل الأخلاقي لابد وأن يصدر عن أفضل الدوافع "بواعث الناس"، وهنا تأتي وظيفة الدولة التي مهمتها أن تساعد الناس على القيام بأفعال معينة، وأن تمنعهم من القيام بأفعال أخرى حتى تتحقق الغاية الأخلاقية للمجتمع[٤].

---

[١] عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية "بوزانكيت"، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٧٦.
[٢] رودلف متس: الفلسفة الإنجليزية في مائة عام، ترجمة فؤاد زكريا، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩١٢م، ص ٣٠٧.
[*] توماس هل جرين، عاش ما بين ١٨٣٦ - ١٨٨٢م، وهو فيلسوف إنجليزي، كان أبوه قسيساً، عُين جرين مدرساً بالجامعة - عندما كان بوزانكيت طالباً فيها لهذا فهو المؤثر المباشر على فكره- كان جرين أحد رواد المثالية، وعلى الرغم من تأثره بفكر هيجل، إلا أنه ينتمي إلى الهيجلية الجديدة في إنجلترا، لأنه انتقد بعض أفكار هيجل.
[٣] إمام عبد الفتاح إمام: الهيجلية الجديدة، دار التنوير للطباعة والتنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١م، ص ص ٢٦٩ : ٢٧١.
[٤] نفس المرجع السابق، ص ٢٨٣.

هذا، ومن ناحية أخرى، نجد أن بوزانكيت تخرج من أكسفورد، وعُيِّن أستاذاً فيها منذ عام ١٨٧١م، وقد ساهم في تنمية الحركة المثالية في هذه الجامعة إلى أن ارتحل إلى لندن عام ١٨٨١م، وهناك، اهتم اهتماما كبيرا بالمجتمع وتنظيمه وبالحياة الاجتماعية، وذلك بإلقاء المحاضرات العامة. وفي عام ١٩٠٣ م عيِّن أستاذا للفلسفة بجامعة سانت أندروز حتى تُوفي عام ١٩٢٣م[٥].

واستخلاصاً لما سبق، نجد أن الأفكار التي تلقاها بوزانكيت من أستاذه جرين؛ جعلته يخرج من بوتقة الفكر التجريبي الإنجليزي الذي كان سائدا في عصره، وأن يهتم بالفلسفة الهيجلية، وأن يقرأ في الفلسفات المثالية المعاصرة له، ولاسيما فلسفة برادلي، ومن ثم كوَّن لنفسه فكرا مُتميزا خاصا ساعده في تنمية الحركة المثالية في الجامعة وتطبيقها في الواقع الخارجي ولاسيما في الحياة الاجتماعية.

وبناءً على ذلك، ينبغي أن ننوه إلى فكر كلٍ من هيجل وبرادلي.

(٢) المؤثرات الفلسفية على فكر بوزانكيت:

على الرغم من تأثر بوزانكيت بأفكار كلٍ من هيجل[*] وبرادلي[**]، كذلك تأثُر برادلي بأفكار هيجل. إلا أنه لم يكن كل من بوزانكيت وبرادلي مرددان لآراء هيجل، حيث يُلاحظ أن قرب بوزانكيت لتوماس جرين - كما وضحنا- جعله أكثر جرأة في انتقاده لبعض أفكار هيجل. كذلك لم يكن برادلي مرددا لأفكار هيجل، بل انتقده في كثير من الآراء، لذلك ينتمي كلٍ من بوزانكيت وبرادلي إلى الهيجلية الجديدة وليست القديمة.

(أ) هيجل وفكره المؤثر على بوزانكيت:

يُعد هيجل من أكثر الفلاسفة ثقة بنفسه، إذ كان على يقين بأنه يستطيع أن يعطي لنا تفسيرا عقليا للوجود الواقعي، حيث أكد على أن العقل هو الذي يبني العالم، والعقول الشخصية ما هي إلا أجزاء من العقل الكلي. ومنه؛ بدأ يؤلف بين الواقعي الجزئي والمعقول المثالي، وأخذ يصعد من التاريخ إلى الفسفة، ويهبط من الفلسفة ويفسرها بوقائع التاريخ، ومن هنا جاز له أن يقول أن الواقعي هو المعقول، وكل معقول واقعي، كما أنه اتخذ لفلسفته منهجا جدليا، إذ لا يتناول الوجود في ثباته، وإنما في حركته. وبذلك فهم تاريخ الفلسفة في ضوء فكرة التطور العام وليس بمعناها العلمي[*][٦].

واستنادا إلى ما سبق، قدَّم هيجل الأداة التي تقوم بفهم مشكلات المجتمع والقيم الأخلاقية والإبداعية، وحلها من وجهة نظره، حيث وجد في الجدل قوانين حركة الفكر الإنساني والحركة الطبيعية على السواء، ذلك لأنه بسَّط في فلسفته الجدلية بين التحليل الذهني والتأليف العقلي، ومن هنا أشاد بالعقل صاحب القدرة على الفكر والتاليف والتعمق لفهم القوى التي تسيطر على التقدم والنمو في الواقع الخارجي.

من هذا المنطلق يعد هيجل مثالي وواقعي في آن واحد، إذ أكد أن الفكر أسبق في الوجود، حيث وجد هذا الفكر نفسه في عالم الحقائق الواقعة التي لا يكون لها معنى لو فصلناها عن الفكر،

---

[5] By net: Stanford Encyclopedia of philosophy Bernard Bosanquet.

(*) هيجل فيلسوف ألماني، صاحب اتجاه مثالي، عاش ما بين ١٧٧٠ - ١٨٣١م، كان لفلسفته صدى عظيم في الفلسفات والأيديولوجيا التي جاءت بعده، حيث أعطى أهمية للعقل وأثره النافذ في تطور حياة الأمم سواء الأخلاقية أم الفنية أم الدينية أم السياسية ... إلخ. انظر:

محمد توفيق الضوي: الفلسفة الألمانية في القرن التاسع عشر، دار الوادي للطباعة، دمنهور، ١٩٩٩م، ص ٨٧.

(**) برادلي فيلسوف إنجليزي، مثالي، عاش ما بين ١٨٤٦ -١٩٢٤م، أي عاصر بوزانكيت، لكنه لم يهتم بوضع مذهب فلسفي متكامل.

(*) إذ صدر كتاب دارون عن التطور عام ١٨٥٩، أي بعد وفاة هيجل بثمانية وعشرين عاماً، مما يُوضِّح عدم تأثير العلم على هيجل وفكره.

[٦] انظر: عبد الفتاح الديدي: فلسفة هيجل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٩٥.

ذلك لأن الطبيعة - عنده- ليست جسماً صلباً يحدد الفكر ويعارضه، ولا هي موازية للعقل، ولكنها والمطلق توأمان، فالطبيعة والعقل تفرعا عن أصل واحد، ولكنهما ليسا فرعين متساويين قد انبثقا من جذع بعينه، إذ نشأت الفكرة أولاً، ثم نشأ من الفكرة؛ الواقع الطبيعي، والفكرة والطبيعة معاً يكونان الواقع الروحي، بمعنى أن الفكر هو أول المراحل وآخرها معاً، يبدأ الكون بالفكر بالقوة، وينتهي بالفكر بالفعل[٧].

هذا يعني أن الفكرة بعد أن كانت فكرة محضة في العقل، تخرج إلى الواقع الطبيعي ثم تعود مرة أخرى في نهاية المطاف لتُصبح فكرة مطلقة ثرية بما اكتسبته في طوافها بالعقل والطبيعة؛ بمعاني الكلية والشمول والإطلاق[٨]. حيث أن الجدل عند هيجل هو التطور المنطقي للفكر وللحقيقة الواقعة من خلال الانتقال من الفكرة إلى نقيضها، ومن الفكرة ونقيضها، أي من هذه المقابلات نصل إلى المركب، هذا الجدل طبق في عالم الوجود والقيم معاً.

خلاصة القول، ليس هناك اختلاف بين الموضوع المعروف في الواقع الخارجي، والذات العارفة في الفكر الإنساني، لأن الاثنين ما هما إلا صورة يظهر عليها الكل، أي أن الفكرة المطلقة هي "المتعين" الذي يتجه فيه الجمع في "كل" واحد وهو المطلق Absolute، وهنا يؤله هيجل المطلق[*]، بمعنى أن المطلق هو العالم بوحدته العضوية، وليس الخالق له[٩].

وتماشياً مع ما تم ذكره، نجد أن الأخلاق والإبداع الجمالي الفني –عند هيجل- ينتجان من ذات عاقلة، كما أنهما نواتج تؤلف عالم موضوعي واقعي، أي ينتجان الجمال والأخلاق من ذات وموضوع، ويسعى الإنسان بالأخلاق والفن والجمال إلى حل التناقض بين ما هو "ذاتي" وما هو "موضوعي" بحيث يوجد انسجام بينهما، إذ إن كل من "الذاتي" و"الموضوعي" متناهي ولابد من تجاوزهما، أي تجاوز الروح بذاتيتها وبموضوعيتها حتى تصبح روح مطلق تضم الذات والموضوع في وحدة.

وقد أعطى هيجل معنيين للأخلاق وللجمال، إذ تناول الحياة الأخلاقية عندما تكلم عن الأسرة والمجتمع المدني والدولة[١٠]. حيث ميَّز بين نوعين من الأخلاق والجمال، هذا التمييز ما لم نجده مطلقاً عند برادلي، ولكننا نجده عند بوزانكيت بصورة مختلفة عنها عند هيجل، حيث لا يعتمد بوزانكيت على الجدل الهيجلي في نوعي الأخلاق والجمال، بل كان متأثرا بفكر برادلي إلى حد كبير.

فنجد أن هيجل ميَّز بين الأخلاق الفردية والأخلاق الاجتماعية، ورأى أن الأول يصل إليه الإنسان بعقله الخاص أو وجدانه، وهو يعبِّر عن المصلحة الذاتية ولا يعمل على تماسك المجتمع، أما النوع الآخر لا يتحقق بمعزل عن الآخرين، وهو يتطور بتطور الفكر، «فبعد أن يخضع الفرد للأسرة وللمجتمع، لأنه لم يستطع أن يكن فردا منعزلاً، يتضح أن الأسرة "الفكرة" لا تستطيع تحقيق إشباعا لمطالب الفرد عندما يكبر، لذلك يترك الفرد؛ الأسرة ويتجه إلى المجتمع "نقيض الفكرة"، وفي المجتمع تنشأ أعمال مختلفة في جميع مجالات الحياة، وهنا ينتج

---

[٧] أحمد أمين، زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، ج٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٣٦٩.

[٨] علي عبد المعطي محمد: تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص ٢٤٧.

[*] يختلف المطلق عند هيجل عنه عند برادلي وبوزانكيت، حيث أن الأول يؤله الوجود، وهو ليس خالق لهذا الوجود. أما المطلق عند برادلي هو الكل المتجسد، بمعنى أن الكل ليس تجريدا بل أصبح جسدا في البحار والمحيطات والمخلوقات ... إلخ. وكذلك جسدا في الموضوعات بظواهرها الموجودة في الواقع. أما بوزانكيت فقد نظر إلى المطلق على أنه إله يخلق العالم، وهذا يرجع إلى نشأته الدينية. انظر عبد الرحمن بدوي: فلسفة الجمال والفن عند هيجل، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٥٩.

[٩] عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج١، مرجع سابق، ص ٣١٩.

[١٠] آرمسون، جوناثان، ري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٣٩٩.

الفرد لكي يلبي حاجاته وحاجات أسرته، وبذلك يكون للمجتمع معنى، حيث تسن فيه قوانين، ويقوم جهاز الشرطة بحفظ الأمن، ومن ثم يتزود المجتمع بالدولة[١١].

هذا لا يعني طمس ذاتية الأسرة والمجتمع، بل يقوم بينهما تناقض الذي هو مناط الحيوية في الحياة الإنسانية، وعليه؛ لا يمكن تطور الفرد الروحي والفكري في الأسرة والمجتمع خارج نطاق الدولة "المركب منهما".

وكما ميَّز هيجل بين نوعين من الأخلاق، ميَّز أيضاً بين نوعين من الجمال: "الجمال في الطبيعة" و"الجمال في ذاته"، ورأى أن الأول غير حقيقي يفتقر العقل، أما الثاني فهو حقيقي ولا يوجد إلا في الإنسان، لأنه تعبير عن الصور العقلية التي لا توجد إلا في عقل الإنسان. بمعنى أن الجمال هو فكرة تظهر في صورة حسية؛ تُدرك في الطبيعة وفي الفن بواسطة الإحساس، فهو التجلي المحسوس للفكرة[١٢]. هذه الفكرة تظهر في لوحة جميلة أو في قطعة موسيقية أو غير ذلك.

بذلك يكشف الجمال - من وجهة نظر هيجل- طبيعة العلاقة بين الواقع الخارجي وبين ذات الإنسان هذه العلاقة تتضح للمطلق في صورة حسية أو حدسية. حيث «وضع الفكرة في مادة أو صورة، وقام بتشكيل المادة على مثال لها، وبالقدر التي تتفاوت فيه مرونة المادة، تترتب الفنون الجميلة متدرجة من المادية إلى الروحية، وبهذا قسم هيجل الفنون[١٣]. هذا لم يهتم به بوزانكيت - كما سوف يتضح-

ولا يفوتنا أن نُنوه أن هيجل قلل من شأن الجمال والفن أمام الأخلاق، وحُجته في ذلك هي: أن الإنسان في المجتمع الحديث لا يستطيع أن يشكل كلاً متماسكاً من الناحية الجمالية والفنية لأنه يفقد الإنسجام والتماسك في الفن، أي أنه يفقد المثل الأعلى للجمال، نظرا لتشتته في الحياة الاقتصادية المعقدة للمجتمع المدني[١٤].

هكذا نظر هيجل إلى الكلي كواقع عيني في مقابل الكلي المجرد، وهذا كان له تأثيراً كبيراً فيما بعد على فكر كلٍ من برادلي وبوزانكيت، إذ اتفقا معه في رفضهما للتفكير المجرد، أي التفكير لأجل ذاته، البعيد عن المنفعة، وأخذهما — مثلهما مثل هيجل- بالفكر الذي يطبق في الواقع، ويخدم هذا الواقع بما يحقق له المنفعة. إلا أن "الجدل" الذي اعتمد عليه هيجل في حركة كل من الفكر الإنساني والواقع وما يحمل من ظواهر، هذا الجدل لم نجده مطلقاً عند برادلي — كما سوف يتضح- ولم يطبق عند بوزانكيت إلا في الحكم الواقعي دون القيمي كما سوف يتضح.

(ب) برادلي وفكره المؤثر على بوزانكيت:

بما لا يدع مجالا للشك أن الوجود الواقعي - من وجهة نظر هيجل- هو نفسه الوجود الحقيقي نظرا لأن هيجل يؤمن بالعقل، ويرى أنه من الصعب الشك فيه، فهو يهتم بالفكرة داخل العقل، ونقيضها، والمركب منهما. على خلاف ذلك نجد أن برادلي فصل الوجود الواقعي عن الوجود الحقيقي. إذ إن الوجود الواقعي يشمل الواقع الخارجي بموضوعاته وموضوعات الفكر معا،

---

[١١] هربرت مركيوز: العقل والثورة "هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ص ٣٦ — ٣٧.

[برلين] Hegel, G. W. F., : On Art, Religion and the History philosophy, Trans. by E. S. Haldane, Edited by, J. Glenn Gray, New York, 1970, p. 41.

وكذلك:

By net: Stanford Encyclopedia of philosophy, Bernard Bosanquet.

[١٣] محمد علي أبو ريان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية، ١٩٩٤م، ص ٩٦.

[١٤] ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٩٣.

فهما مظهر من مظاهر الوجود، هذا بخلاف الوجود الحقيقي الذي له طبيعة تُجاوز هذه الموضوعات.

إذ يرفض برادلي تقسيم الصفات إلى أولية وثانوية، كذلك الموضوعات الخارجية والذوات الإنسانية؛ كلها مجرد مظاهر وليست حقائق[١٥]. ومن ثم يرفض الجدل الهيجلي، ولم يطبقه على الواقع الخارجي بما يحمل من موضوعات.

وبناء على ذلك نجد أن برادلي مزيج من الشك واليقين، فهو يشك في التناقضات الموجودة في موضوعات الوجودِ الواقعي، ويرى أن هذه التناقضات لا حل لها إذا أخذناها مأخذ الواقع الحقيقي، فهي ليست واقعا حقيقيا وعلينا أن نرفضها - على حد قوله- لأن الوجود الحقيقي ذات طبيعة تجاوز المقولات الموجودة في الوجود الواقعي[١٦]. هذا الأخير توجِد "العلاقات" متضمنة في طبيعة أطرافه، ولا يمكن فهم أي طرف من أطراف هذه العلاقات بعيدا عن علاقاته بغيره من الأطراف، هذا الأسلوب في التفكير يعجز عن معرفة مطالب العقل، لهذا رفضه برادلي، ومن ثم شكك في العقل الهيجلي.

وبما أن العقل جانب شخصي فردي، والفرد متناهي بطبيعته، لذلك يطرح سؤال: هل هناك تلاق بين المتناهي واللامتناهي، أم تزول الحقيقة بتناهي الشخص في الوجود؟ ووصل برادلي من هذا التساؤل إلى المطلق، وهو الخالي من التناقض، فهو حقيقة كاملة لأنه وحدة كلية وانسجام يشمل كل شيء[١٧].

اذا محاولة فهم المطلق من منظور عقلنا كموجودات متناهية محاولة غير صحيحة، وذلك لأن المطلق لا يُحصر في حدود خبرتنا الجزئية المتناهية، مما يعني أننا لا نخضع للمطلق لأننا الذي نشكل محتواه عن طريق أفعالنا[١٨].

ويبقى التساؤل عن كيفية الوصول لبلوغ الوجود الحقيقي من وجهة نظر برادلي؟

نجد أنه أكد على ضرورة وصف هذا الوجود فكريا وليس واقعيا، وعليه لا يمكن بلوغ الوجود الحقيقي لأن هذا الوجود يتصف بنوع من "التوحد" ليس موجود في مجال عقلنا الإنساني، هذا التوحد يعلو على جميع العلاقات ويتجاوزها، لذا لا يمكن أن نصل إليه إلا بالوحدة المتجانسة التي يتصف بها الوجدان. حيث يفرّع الوجود نفسه في مراكز من الخبرة الحياتية المتناهية، والتي ليس باستطاعتنا أن ننظر إليها على أنها هي ذاتها أفراد الناس، نظرا لما يشوب الحياة الإنسانية بأكملها عنصر زماني[١٩]. هذا الزمان الحسي المألوف لا يوجد في عالم الحقيقة، ولو وجد في هذا العالم، لأصبحت الحقيقة تشبه الظاهر[٢٠].

ونتيجة لما سبق لا يفصل برادلي بين الخبرة الحياتية العامة والخبرة الثقافية، إذ يقول: إن ظواهر الخبرة ترتبط مع بعضها، وكلها مترابطة ترابطا معقولا[٢١]. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن كل ما في الوجود الواقعي من ظواهر أخلاقية محكومة بعادات وتقاليد من أخلاق وقيم وإبداعات جمالية وفنية تتآزر هذه الخبرات مع بعضها، وتوجد في وحدة تجعلها كاملة وتسمى وحدة الكون، وتكوّن كليات.

---

[١٥] عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية "برادلي"، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣١٩.

[١٦] المرجع السابق، ص ٣١٩.

[١٧] محمد توفيق الضوي: مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة "دراسة في ميتافيزيقيا برادلي"، منشأة المعارف، ط١، الإسكندرية، ص ٦٣.

[١٨] المرجع السابق، ص ٨٣.

[١٩] آرمسون، جوناثان ري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٨٥.

[٢٠] محمد توفيق الضوي: المرجع السابق، ص ٨٣.

[٢١] Bradley, F. H.,: Appearance and Reality, George Allen & Unwin Ltd. Ruskin House, London, 1899, p. 414.

هكذا ينظر برادلي إلى الواقع ككل غير منفصل، ذلك لأن العالم واحد والواقع الحقيقي واحد، وإن ما يبدو في الظاهر من اختلاف مآله إلى الزوال، حيث يؤدي عالم الظاهر إلى الحقيقة لأنه يُشير إلى العالم الحسي المألوف لنا، أي عالم الفعل والوقائع، الذي يمدنا بمعرفة أولية ليست يقينية، هذا العالم مؤكد وواقعي، نستمد منه معرفة صادقة وصحيحة بجانب سلبياته، بينما عالم الحقيقة أحكامه صادقة خالدة صالحة في كل زمان ومكان، لأنها تتسم بالشمول والاتساق[٢٢].

من هذا المنطلق يتفق برادلي مع هيجل في أن الذات لا تتحقق أخلاقياً بتهذيب نفسها بمعزل عن الآخرين، لهذا أكد على ضرورة وجود مجتمع حتى يتحقق فيه الأخلاق، وليس من وظيفة الأخلاق التأثير على سلوك الإنسان بتزويدنا بقوانين، وتطبيق مبادئ أخلاقية في مجال الخبرة العملية، لكنها تهتم بفهم طبيعة الأخلاق.

يقول في ذلك: إن دراسة القيمة الأخلاقية ليست إلا دراسة نظرية خالصة pure theoretical study، تهدف إلى فهم طبيعة الأخلاق The Nature of Morality دون أن تهدف إلى التأثير على سلوك الإنسان الذي يقوم بهذه الدراسة[٢٣].

لهذا نظر إلى الإرادة الخيِّرة بأنها هي الإرادة الكلية التي تجعل الفرد يعرف واجباته من حيث كونه عضوا في المجتمع، والأخلاق تبعاً لذلك هي إرادة المجتمع. هنا يقف برادلي ولا يُعرِّف إرادة المجتمع الذي ينتسب إليه الفرد لكي لا يجعل الأخلاق نسبية، ذلك لأن ذات الإنسان - والتي تنبُع منها الأخلاق- لها علاقة بالمسئولية الأخلاقية "أفعاله" التي يكون مسئولاً عنها ويتحمل نتائجها[٢٤]. إذ يستطيع الإنسان تمييز الأفعال قبيحها من حسنها، وهنا يظهر الضمير الأخلاقي.

ولا يفوتنا أن ننوه أن الأخلاق - عند برادلي- تكون ناقصة، ولا تبلغ اكتمالها إلا بالانتقال إلى الدين[٢٥]. مما يعني أنه لا يوجد تطور في الأخلاق، ومن ثم لا يعترف بالجدل الهيجلي، ولا يطبقه في فلسفته التي لم يهتم فيها بتقسيم الناس إلى أسرة ومجتمع ودولة، وهو في ذلك مثله مثل بوزانكيت كما سوف نتناول فيما بعد.

وتماشيا مع ما تم ذكره أكد برادلي على أن الجمال والفن لا يمكن النظر إليهما بمعزل عن الأخلاق والمجتمع، أي أنهما لهما شق اجتماعي وأخلاقي، بمعنى أنهما مرتبطان بالخبرة الحياتية.

يقول في هذا الصدد: «لا يمكن أن نفصل الجمال وننظر إليه في انعزال مستقل، فهو كالخطوط المستقيمة المتواصلة زمانيا ومكانيا»[٢٦]. وهنا لا يعطي برادلي معنيين للجمال - كما فعل هيجل- بل اعترف بالجمال الموجود في الواقع الطبيعي، والذي لا ينعزل عن الأخلاق، حيث أعلى من شأن هذا النوع من الجمال أمام الأخلاق، هذا بخلاف هيجل الذي قلل من شأن هذا النوع من الجمال، واعتبره خال من العقل.

هكذا اتفق برادلي مع هيجل على النظرة الشمولية الكلية للعالم، والتي تنظر إلى العالم بما فيه من موضوعات وظواهر من جميع زواياه، إلا أن برادلي فصل بين الوجود الحقيقي عن الوجود الواقعي، ولم يطبق عليه الجدل الهيجلي، هذا بخلاف هيجل الذي أكد على أن الوجود الحقيقي هو نفسه الوجود الواقعي، وطبق عليه الجدل.

ومن الواضح أن بوزانكيت تأثر بفكر كل من هيجل وبرادلي، وفي تطبيق أفكارهما الفلسفية في موضوعات وظواهر الواقع الخارجي. حيث أن الثابت أن هيجل بدأ مثاليا وإنتهى

---

[٢٢] محمد توفيق الضوي: المرجع السابق، ص ٦٢.

[٢٣] Lillie. William: An introduction to Ethics, university paperback, 3rd ed., London, 1967, p. 204.

[٢٤] عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية "برادلي"، مرجع سابق، ص ص ٣٢٠ – ٣٢١.

[٢٥] آرمسون، جوناثان ري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٨٥.

[٢٦] Bradley F. H.,: Ethical studies, Cambridge university, London, 1876, p.226.

واقعياً، بينما نجد أن بوزانكيت - ما سوف يتضح فى النقاط التالية - بدأ مثالياً مثل هيجل، وانتهى مثالياً مثل برادلي، أي أنه مثاليا منذ بدايته حتى نهايته.
فكيف كانت نظرة بوزانكيت للواقع الخارجى؟

ثانياً: الواقع البوزانكيتي، وكيفية الحكم عليه:

تأثر بوزانكيت في نظرته إلى الواقع بكل من هيجل وبرادلي، فهل فصل بين الواقع والحقيقة مثل برادلي، أم خالفه واتجه إلى هيجل؟

١- مثالية الواقع:

نظر بوزانكيت إلى "الكلي المتعين" في مقابل "الكلي المجرد". بمعنى أن الكلي كواقع عيني يؤلف في داخله؛ لحظاته الخاصة، ويمكن أن يقال أن كل عضو فيه له فرديته الخاصة، ولكنه يدخل في وحدة الكل[٢٧]، والذي يقر بأن ما هو حقيقي هو واقعي، وما هو واقعي هو حقيقي، أي أن كل منهما يعزز ويدعم الآخر. أي أن الوجود من حيث أنه وجود كلي واحد مترابط، كما أن المعرفة كلية مترابطة.

اذا لا فارق بين الواقع والكلي الحقيقي عند بوزانكيت، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تصوره للفردية بمعنى الانسجام بين مجموعة متباينة من الفروق المتمثلة في أشخاص البشر، وفي السلوك والقيم الإنسانية، وفي الإبداعات الجمالية والفنية حتى تقوم الدولة. حيث أن «هذا الواقع ما هو إلا نسق مترابط من الموجودات والأشخاص يُدرك على أنه نفس الشيء إلى الفرد، وبالنسبة إلى العقول»[٢٨].

وبما لا يدع مجالاً للشك أن بوزانكيت فيلسوف مثالي مطلق لهذا اكد لى أن كل ما ينتمي إلى العالم هو مشروط بالذات ويوجد من أجل الذات. وعليه فإن ما يعرفه الإنسان في الواقع الخارجي ليس الشمس أو الأرض، بل ما يعرفه هي العين التي ترى الشمس، واليد التي تلمس الأرض. أي ما يعرفه الإنسان هو حواسه، لهذا أكد على ضرورة وجود علاقة بين ذات الإنسان وما تحمله من حواس وإدراك وبين هذا الواقع الخارجي[٢٩].

هذا وإن دل على شيء إنما يدل على وحدة هذا الواقع مع الفكر، حيث أن الواقع الخارجى بموضوعاته وظواهره ينطبع في عقولنا عن طريق الحواس المختلفة، سواء ارتبط هذا الواقع بالموضوعات المادية أم ارتبط بإدراكي وتاريخي.

ومن هذا المنطلق، يقول بوزانكيت: إذا حاولنا أن نقطع الجانب المادي من عالمنا، فإننا سوف نجد أننا قد أعدنا الجانب العقلي إلى لاشيء، وعلاوة على ذلك، يقول: إن تخيلنا النابع من العقل يجب أن يكون تخيل لشيء ما؛ أعطاه هذا الواقع المادي مساحة أوسع، هذه الموضوعات الموجودة في الواقع الخارجي لا تردنا إلى عالم العقل والتفكير، بل تردنا إلى عالم مثالي[٣٠]. وهذه كما ترى الباحثة نظرة مثالية يشوبها الواقع وما يحتوي من موضوعات.

---

[٢٧] عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، بوزانكيت، ج١، مرجع سابق، ص ٣٧٧.
[٢٨] By net: Stanford Encyclopedia of philosophy Bernard Bosanquet.
[٢٩] علي عبد المعطي: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، الهيئة المصرية العامة للكتاب للتأليف والنشر، الإسكندرية، ١٩٧٣م، ص ٩٤.
[٣٠] Bosanquet, B.,: Three lectures on Aesthetics, publisher: Macmillan, London, 1915, p. 68.

على هذا، فرَّق بوزانكيت بين معنيين للعقل[*][٣١]، ورفض إدراك الواقع عن طريق المعنى الأول للعقل، والذي يحتوي على أجزاء مادية، ويدرك الأجزاء المبعثرة الموجودة في هذا الواقع بموضوعاته، أي يدرك ما هو فردي وجزئي، ونظر لهذا العقل أنه لا معنى له إلا في إطار كل العقول. وعلى خلاف هذا العقل؛ قبل بوزانكيت المعنى الآخر للعقل، والذي يدرك فيه الواقع بموضوعاته طبقاً لمبدأ الحقيقة هي الكل، وهو ذلك الذي يحتوي العالم ويتمثل فيه كل موضوعات وأفكار الواقع الخارجي، هذا يعني أن يكون "أنا والآخرون" ليسوا موجودين في المكان، بل العكس صحيح، أي أن المكان هو الذي يكون فينا "نحن والآخرون"، هذا العقل لا نراه لأننا داخلين فيه.

هكذا ينظر بوزانكيت للواقع نظرة شمولية كونية مثله في ذلك مثل هيجل وبرادلي، إلا أنه لم يفصل بين الواقع والحقيقة مثل هيجل، مخالفاً في ذلك برادلي.

اذا فكيف يحكم بوزانكيت على هذا الوجود الواقعي الحقيقى؟

٢- الحكم الواقعي البوزانكيتي Bosanquet Judgment of Fact:

إستناداً لما سبق، يأخذ بوزانكيت بالمنطق المثالي، والذي يبدأ بالأحكام، ويفرض نفسه من أول وهلة، ويأخذ بالنسقية. حيث لا يوجد في النشاط النسقي للفكر تضاء بين الشكل الجسمي وبين العملية الحيوية، أي لا يوجد تضاد بين الهيئة الخارجية للصورة العقلية، وبين الحياة الفكرية والنشاط الفكري داخل العقل. ومن ثم يكون الحكم معادل للوعي الإنساني اليقظ الذي يهتم بالعالم[٣٢].

هكذا يحكم بوزانكيت على الوجود الواقعي؛ بالعقل الذي يحتوي العالم ويتمثل فيه، إذ إنه إشارة مضمون فكري إلى الواقع، لأن الموضوع النهائي لأي حكم هو الواقع، وإذا كان الواقع كذلك، فنتيجة ذلك أنه كلما كان الحكم أكثر جزئية، كلما كان أقل قدرة على وصف الواقع، والأفكار داخل الذات الإنسانية.

وبناء على ما سبق، يُدرك الحكم الواقعي؛ الوجود، عندما ينظر إلى أي موضوع من موضوعات الواقع الخارجي في ضوء "الكل"، هذا لا يحدث إلا إذا أدركنا ما لم يُعطِ لنا، وعليه يُعلن الحكم بما نقوم به من تفسير في الإدراك، ونكوِّن بهذا التفسير نسق منظم ومحدد مع المدركات التي قمنا بتفسيرها عن موضوعات الواقع الخارجي. وقد أعطى بوزانكيت مثالاً لتوضيح ذلك[٣٣]، وهو أن الرؤية الإنسانية لشيء ما في الواقع، كرؤيتنا لمنضدة، هي حكم واقعي، إلا أن رؤيتنا للمنضدة تتضمن سمات أخرى لا تظهر للعين، أي لم تعطِ لنا وهي؛ كل خبرات اللمس والحركة التي يُعرف عن طريقها سمات أخرى للمنضدة لا يمكن فصلها عن تلك التي تُعطى للعين، وبهذا عند الحكم على شيء ما؛ نقوم بعملية تركيبية، أي نركب للإدراك المعيِّن متعلقاته عن إدراكات أخرى. وبذلك يتحدد الحكم بالتوحيد بين تفسيرنا التركيبي لإدراكنا الحالي، وبين الحقيقة التي يدفعنا إليها هذا الإدراك الحالي.

---

[*] أكد بوزانكيت على معنيين للعقل؛ الأول العقل باعتباره شيئاً كالجسم، والثاني العقل باعتباره حاوياً للواقع الحياتي ومتمثلا فيه. وقد أعطى مثالاً لتوضيح ذلك ورأى أننا إذا نظرنا إلى الميكرسكوب باعتباره مكون من عدسات ومرآة وأسطوانة وغير ذلك، فإننا بذلك ننظر إلى العقل على أنه جسم، ونتكلم عن أجزائه وتفصيلاته، فالعقل هنا شيء من الأشياء. أما إذا نظرنا إلى الميكروسكوب من خلال أسطوانته، فإننا بذلك نكون داخله ولا نرى عدسات أو مرآة أو الأسطوانة ذاتها، أي نرى كل ما تقع عليه أعيننا من خلال نظرتنا ونحن بداخله. والناظر بالأسلوب الأخير يريد أن يتأمل ويعرف ويدرك عالمه وبذلك فإن المعنى الأول للعقل يعني أن عقلي في رأسي، أي أن أكون أنا والآخرون في المكان، والميكروسكوب بهذا المعنى أحد الأشياء الذي نراه من الخارج. أما المعنى الثاني للعقل يعني أن رأسي في عقلي، بمعنى ان يكون المكان فيَّ وفي الآخرين، ويكون بذلك العالم متمثلا فيه، بمعنى أننا داخلين داخل الميكروسكوب وما نراه يكون داخل الميكروسكوب الذي لو نراه من الخارج بل نحن داخله.

[٣١] علي عبد المعطي محمد: المرجع السابق، ص ص ٩٧ – ٩٨.

[٣٢] المرجع السابق، ص ١٢١.

[٣٣] المرجع السابق، ص ١٤٨ وما بعدها.

من هذا المنطلق فإن عملية التركيب للواقع والحقيقة هي عملية الربط التي نقوم بها لكي نكمِّل الموضوع الذي لم يعطِ إلينا كاملا، وعملية الفهم التي تذهب إلى ما وراء الموضوع لترى ارتباطاته في ضوء الكل، وقانونه الذي يرتبط به وكيفية وجوده في نسق كلي[٣٤].

ومن ثم يجوز لنا أن نقول أننا نركب الحقيقة مثاليا في فهمنا وفي استدلالنا والذي هو حكمنا.

وفضلاً على ذلك فإن الحكم الفعلي يتسم بالضرورية، أي لابد أن تتحد الوقائع والأفكار حتى نصل إلى المطلق، وهو الذي يجوز أن تحمل عليه كل المحمولات، فما هو موضوعي حقيقي يعبِّر عما نضطر لأن نفكر فيه بواسطة عامل ضروري يحدث خلال حركة وعينا، ويجعلنا نفكر في أبسط الأحكام، فنبحث عن تناقضها، وأن نتجه بعقلنا إلى أبسط الإدراكات[٣٥]، وهنا نجد أنفسنا أمام الجدل الهيجلي، أي أن بوزانكيت طبق هذا الجدل على ما هو واقعي.

ولما كان الحكم ضروري لكل إنسان، فإن كليته تتضمن بجانب ضروريته توافق هذا الحكم مع أحكام ومعارف سائر الأفراد، فلا نقبل أن يكون الوجود الحقيقي الذي كونه الآخرين غير متوافق مع الوجود الحقيقي الذي أكونه "أنا"[٣٦].

هكذا يجب الأخذ بالحسبان أن الحكم الواقعي البوزانكيتي؛ حكم كلي، تركيبي، ضروري، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هذا الحكم معياري، ومعياره ذاتي وموضوعي معا. وبهذا لا يمكن أن نصدر أي حكم واقعي على موضوع ما؛ من موضوعات الواقع الخارجي بدافع المنفعة أو الغرض.

هذا عن الحكم الواقعي الذي يحكم بالعقل فيما هو موجود في الواقع الخارجي، فكيف نحكم بالحكم القيمي الذي يهتم بكل ما هو أخلاقي وإبداعي في الواقع الخارجي؟ وكيف ندرك بهذا الحكم الموضوعات القيمية في الواقع الخارجي من أخلاق وسياسة وفن وجمال.

٣- الحكم القيمي البوزانكيتي، وعلاقته بالواقع:

مما لا شك فيه، أن الحكم القيمي هو ما نحكم عليه بأن له قيمة، أي ما هو قيِّم، وهو الشيء الخير أو الصائب أو المفيد أو الجميل ... إلخ، وهذا يجعلنا نميِّز بين القيم الأخلاقية والقيم الجمالية[٣٧].

وعلى المستوى النظري، وعندما يعرِّف الفلاسفة الأخلاق، أو الجمال يرون ضرورة استبعاد جميع أحكام الواقع، فمن علامات النقد الزائف إحلال الواقع محل الأحكام القيمية[٣٨]. فلابد اذا أن نميِّز بين الأحكام القيمية وهي أحكام تقويمية وأحكام الواقع وهي أحكام وصفية، فعندما نقول أن الصدق صائب، فإننا نحكم حكما تقويميا، بينما عندما نقول أن ثاني أكسيد الكربون يتكون من اتحاد الكربون مع الأكسجين، فهذا حكم واقعي على موضوع من موضوعات الواقع الخارجي[٣٩].

---

[٣٤] المرجع السابق، ص ١٤٩.

[٣٥] Ewing, A. C.,: "Idealism" in the concise Encyclopedia of philosophy and philosophers, Edited by: Jourson and Jonatham Ree, Routledge, London, 1989, p. 147.

[٣٦] Stolnitz, J., :"Logic" in Enc. Of philosophy, Vol. 2, The Macmillan co., Free Press, N. Y., 1972, p. 320.

[٣٧] Frankana, W. K.: Value and valuation, in Enc. of Philosophy, Vol. 7. Macmillan company press, New York, p. 231.

[٣٨] جورج سانتيانا: الإحساس بالجمال "تخطيط لنظرية في علم الجمال"، ترجمة محمد مصطفى بدوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٤٧.

[٣٩] Plotinus: Ennead, Great Books of Western World, ed., in chief Robert Maynard Hutchins, Vol. 17, Br. inc, university of Chicago, 1952, p. 27.

وبناءً على ذلك فإن أحكام الواقع أكثر موضوعية لاعتمادها على الواقع الخارجي، بينما ترتبط أحكام القيمة بالذاتية لاعتمادها على الإنسان ووفقا لمشاعره وتفكيره واعتقاده[٤٠]. وهنا فصل الفلاسفة بين أحكام الواقع المرتبطة - من وجهة نظرهم- بالموضوعية، والأحكام القيمية المرتبطة بالذاتية. فهل تأثر بوزانكيت بآراء الفلاسفة، وفصل الحكم الواقعي عن الحكم القيمي؟

- الحكم القيمي البوزانكيتي:

أكد بوزانكيت أن الحكم القيمي سواء كان جمالي أم أخلاقي أم سياسي ... إلخ، يختلف عن الحكم الرياضي أو المنطقي وهما أحكام موجودة في الواقع. فالأول يهتم بالعامل السيكولوجي من شعور الذات بحالات كالارتياح أو الفرح أو الحزن ... إلخ. أما الثاني فلا شأن له بهذه الأمور، وهنا يتفق بوزانكيت مع وجهة نظر الفلاسفة بصدد ذلك. إلا أن هذا لا يعني فصل الحكم القيمي عن الحكم الواقعي عنده، فطبقا لمبدأ "الحقيقة هي الكل" يدخل الحكم القيمي ضمن البناء الفلسفي المثالي الكلي الترابطي العام، بمعنى أن أحكام القيمة المرتبطة بالذاتية لا تستغني عن الواقع الخارجي. إذ يشير إلى وحدة الفكر وكليته ليس على الحكم الواقعي فقط، بل على الحكم القيمي أيضا.

اذا كيف ندرك بالحكم القيمي الأخلاقي، كذلك الحكم القيمي الجمالي الإبداعي؛ الواقع الخارجي؟

أ- الحكم القيمي الأخلاقي:

إن الحكم القيمي الأخلاقي هو الطريقة التي يشعر بها أو يفكّر بها الإنسان تجاه الموضوع الأخلاقي، هذا بالإضافة إلى تأثير الموضوع على الإنسان بمعنى أن الحكم بالخير أم بالشر على الفعل الأخلاقي يكون بتوافر عناصر محددة في هذا الفعل، تجعله يثير في الذات التي تقوم بالحكم عليه؛ انفعالات معينة تجعلها تصدر هذا الحكم[٤١]. وبذلك لا يكون هذا الحكم هو حكم عن about judgment، بل هو حكم على Judgment upon، وهو ليس مجرد حالة لموضوع ما، بل هو مقارنة الموضوع بمعيار ما، وبواسطة هذا المعيار يتقرر ما إذا كان الموضوع نافع أم ضار، خيرا أم شرا[٤٢].

بناءً على ذلك، فإن الحكم القيمي الأخلاقي متصل بالإنسان وبإرادته، وبذلك يدرك هذا الحكم إدراكا وجدانيا ذاتيا عن طريق الإرادة الخيّرة الموجودة في ذات الإنسان، وهذا يتطلب أن يغيِّر الإنسان الحالة الجسمية التي هو فيها بانتزاعه الإرادة العامة التي تتضمن فكرة النسقية "الوحدة العضوية في فرد ما"؛ أي وحدانيته وانعزاله ويرتفع إلى مستوى يتمكن فيه من الارتباط العضوي بالمجتمع[٤٣]. هنا يحدث تعاطف، أي ترابط بين الذات والموضوع الأخلاقي لكي يخرج بمعنى، ومن ثم لا ينفصل عالم المعنى الأخلاقي الداخلي عن عالم الموضوعات الأخلاقية الخارجية. حيث إذا انفصلت القيم الأخلاقية عن الإنسان تعتبر دون فائدة.

هذا لا يعني أن هذا الحكم يتأثر بأهواء وميول الإنسان، بل العكس هو الصحيح، فنحن لا ننقاد بواسطة الأشخاص الذين يمارسون الخير معي أو مع غيري من الأشخاص، بل ننقاد بواسطة الخير نفسه كقيمة، أي أن القيمة الأخلاقية وإن كان لها جانب متعلق بالأشخاص الذين يمارسونها، إلا أنها غير شخصية، أي أنها موضوعية أيضا.

فماذا اذا عن الحكم القيمي الجمالي، وكيف ندرك ما هو جمالي وفني؟

---

[٤٠] Ibid., p. 27.

[٤١] Ibid, p. 33.

[٤٢] Mackenzie, John, S.,: Amanual of Eithics, university Tutorial press, London, 1962, p. 103.

[٤٣] علي عبد المعطي محمد: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، مرجع سابق، ص ص ٢٨٤- ٢٨٥.

ب- الحكم القيمي الجمالي:

إن الحكم القيمي الجمالي مرتبط بالقيم سواء كان تذوق أم خَلق فني ، ذلك لأن الجمال والفن يعبِّران عن انفعالات تتعلق بالإنسان أثر انعكاس الخواص الجمالية للموضوع ذاته في ذات الإنسان، ومن ثم لابد من أن يتخذ موقف محدد من الموضوع الجمالي، هذا الموقف لابد من أن ينحاز إلى جانب معين في علاقته بالموضوع الجمالي، هذا الموقف المنحاز يقف ورائه معيار متاثر بالذات الإنسانية التي تدرك الجمال المتجسد خارجها وتصفه في الوعي الإنساني، وفي نفس الوقت لا تتجاهل العناصر الكيفية للموضوع الجمالي.

وتفسيرا لذلك؛ إذا حكمنا على موضوع جمالي ما بأنه جميل يعني أن الذات الإنسانية نفذت إلى باطن هذا الموضوع، وحدث بينها وبينه نوع من التعاطف "الالتماس الوجداني"، أي تتعاطف الذات خلال لحظات التذوق الجمالي مع الموضوع الجمالي لإدراك معناه والكشف عن ثرائه الوجداني، ومدى ما يظهر فيه منا حاد بين الصورة والموضوع[٤٤]. هنا يصدر المتذوق حكمه على العمل الفني والجمالي، وكأنه يمتلك الأثر الفني ويتعاطف معه، وهذا لا يحدث إلا إذا كان مشاركا، بمعنى أنه ينفذ إلى الكيفية الوجدانية للموضوع، أي يتعاطف المتذوق مع الموضوع الخارجى لكي يصدر حكما.

إذ إن عالم المعنى الجمالي الداخلي، وعالم الموضوعات الجمالية الخارجية لا ينفصلان، ذلك لأن علم الصورة الجمالية الخاصة يتضمن العملية لاحيوية التي تحدث داخل الفكر. هذا ما يحدث في الحكم الجمالي الذي يُدرك كقوة مدركة خيالية لها القدرة على التخيل، هذا الإدراك التخيلي إذا توقف وجوده من الداخل فقط يصبح إدراك جزئي، لذلك لابد وأن يتحد هذا الإدراك بالموضوعات الجمالية الخارجية لكي يصبح إدراك كلي، وبذلك فإن الموقف الجمالي هو تعاطف أي تلاحم بين الذات والموضوع الجمالي لكي يخرج بمعنى[٤٥].

هذا يعني أن صدور حكم على أي عمل فني، لا نصدره بدافع المنفعة، بل إنه حكم صادر عن الذوق، أي يرجع هذا الحكم إلى ما يحققه من إحساس يرضي الذوق، وهذا ما يؤكد على الموضوع الجمالي ذاته، ولا يدخل في علاقتنا به، أي ميول أو ذكريات أو معتقدات شخصية.

يقول بوزانكيت: لابد أن نربي في الجيل الجديد؛ التذوق الفني لكي يُعد جماليا ونفسيا لإصدار أحكام موضوعية، وأن نكون شخصيتهم بالتعليم الجمالي منذ الصغر، والذي يُعد هام جدا في مجال الاستطيقا[٤٦]، وبذلك لا نتبع أهواء وأذواق الناس فى صدور أى حكم جمالى.

هكذا يتضح أنه يوجد تشابه بين إدراك الحكم الواقعي الذي يدرك بالعقل مباشرة، والحكم القيمي سواء الأخلاقي الذي يدرك إدراكا وجدانيا ذاتيا أم الجمالي الذى يدرك إدراكا خياليا. إذ أن الحكم القيمي منزه عن أي غرض، وهذا يعني أنه نسبي وليس مطلق، فقد ترجع قيم ما لشخص ما؛ إلى الضمير الأخلاقي، وترجع عند شخص آخر إلى الدين، حيث أن الأخلاق متغيرة، لهذا يصدر الحكم القيمي الأخلاقي عن مستويات نسبية، كذلك الحكم الجمالي نسبي نظرا لاختلاف أذواق الناس، فما يكون جميلا لشخص ما؛ لا يكون جميلا لشخص آخر.

وهذا لا يعني مناقضتهما للحكم الواقعي، إذ لا نقبل الوجود الحقيقي الواقعي الذي كَوَّنه الآخرين وهو غير متوافق مع الوجود الحقيقي الواقعي الذي أكونه "أنا"، لهذا لابد وأن يكون الحكم الواقعي منزه عن أي غرض أو منفعة، ولا يتأثر بأهواء الأشخاص على الرغم من ارتباطه بهم - مثله في ذلك مثل الحكم القيمي- وهذا يرجع إلى أن كل من الحكم الواقعي والحكم القيمي؛ أحكام معيارية، ومعيارهاالذات والموضوع معا.

---

[٤٤] علي عبد المعطي محمد: تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة، ص ٣٢٥.

[٤٥] Bosanquet, B.,: A History of Aesthetics, Cambridge Press university, London, 2011, p. 14.

[٤٦] Ibid, p. 10.

وفي ظل عدم مناقضة الحكم القيمي الجمالي والأخلاقي، كذلك عدم مناقضتهما مع الحكم الواقعي، هل جعل بوزانكيت الأمر الأخلاقي هو المحدد للموضوع الإبداعي الخارجي؟ بمعنى هل نظر إلى الحكم الأخلاقي وما يحمل من قيم ودين؛ نظرة مرتبطة بالحكم على الجمال والفن؟ هذا يجعلنا نحدد ما هي الأخلاق البوزانكيتية، وما هو الجمال البوزانكيتي؟ وعلاقة ما هو أخلاقي بما هو جمالي؟

ثالثاً: القيم البوزانكيتية وتطبيقها في الواقع:

للإجابة على التساؤلات السابقة لابد من توضيح كيفية تطبيق ما هو قيمي من أخلاق وسياسة ودين وإبداع جمالي وفني على الواقع الخارجي في ظل الفكر النظري البوزانكيتي.

١- الأخلاق البوزانكيتية، وأنواعها:

في مستهل حديثنا لابد أن نؤكد بأن بورانكيت تأثر في فكره الفلسفي بكل من هيجل وبرادلي كما وضحنا، إلا أنه بصدد الأخلاق لم يهتم بتقسيم الناس إلى أسرة ومجتمع متحضر ودولة - مثله في ذلك مثل برادلي- وهذاه بخلاف هيجل كما وضحنا، لكنه تأثر بمثالية كلٍ من هيجل وبرادلي معاً، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الفكر الأخلاقي البوزانكيتي مثالياً إلى حد كبير، وكأننا لسنا على أرض الواقع المليء بالخير والشر، وكأن الإنسان في هذا الواقع ليس له مزاج متقلب وظروف وأفراد يؤثر ويتأثر بهم، فكيف يمكن تطبيق هذه الأخلاق المفعمة بالمثالية على الواقع الذي نعيشه؟

في البداية قسّم بوزانكيت الأخلاق إلى ذاتية واجتماعية، ولم يوافق على أي صيغ أو أوامر أخلاقية تقودنا وتوجه سلوكنا في الميدان الأخلاقي، لأنه يرى أن الأخلاق لابد وأن تكون نابعة من الذات الإنسانية، ذلك لأن هذه الذات هي التي تعرف نفسها وتكون مؤمنة بالقيم، عارفة بظروفها وحدودها. إذ إن حياتي الأخلاقية مرتبطة بظروفي وبإرادتي الأخلاقية، ومدى ارتباطي بالقيم، وعلىّ أن أفعل ما أستطيع طبقاً لكل ظروف وكل واقعة، بشرط أن أناصر الخير، ليس خيري فقط، وإنما خير الآخرين أيضاً[٤٧].

لكن يبقى السؤال، إذا كان بوزانكيت لا يوافق على صيغ أخلاقية، فكيف يعرف الإنسان ماذا يفعل؟

يقول بوزانكيت: إن الأوامر والنصائح لا تعرِّفني ماذا أفعل[٤٨]. حيث لا يوجد الخير بذاته، بل يتصل بالإرادة الخيِّرة المنبثقة عن ذات الإنسان، والتي لا تسلم بشيء على أنه حقيقي إلا الخير، ومن ثم فإن إرادة الإنسان الناقصة، والمحاطة بالشرور لابد أن نحاربها ونحارب الشرور المنتشر في العالم.

وبذلك لا يوجد عندنا قائمة بما هو خير وقائمة بما هو شر، وعلى هذا فإن ما أفعله يعتمد على تكويني للإرادة الخيرة في ذات الإنسان، والتي تمرنت كثيرا بواسطة نسق مترابط من القِيم، هذه القيم لابد أن نعرِّفها ونقدرها على اختلافها، وأن ننظر إليها نظرة تقدير واحترام[٤٩]. اذا اتضح أن الأخلاق عند بوزانكيت مرتبطة بالإرادة الخيِّرة في ذات الإنسان ومدى ارتباطها بالقيم في الواقع الخارجي، وهذه هي الأخلاق الذاتية.

وتماشيا مع مبدأه الفلسفي؛ لابد وأن نهتم برؤية الخير فينا كأفراد ثم نتتبع هذا الخير على مستوى المجتمع، وأن أناصر هذا الخير فينا وفي الآخرين. وهذا يتطلب ألا يكتفي الإنسان بفرديته وانعزاله، ويكون كليا في أفعاله، مدركا أن أفعاله لن تكتسب حقيقتها إلا إذا ارتبطت بالوحدة الاجتماعية والقيم العظمى، واندمجت في " كل" أعظم، ومن هذا تنتقل ذات

---

[٤٧] علي عبد المعطي محمد: تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة، مرجع سابق، ص ص ٣٢٠- ٣٢١.

[٤٨] علي عبد المعطي محمد: نفس المرجع السابق، ص ٣٢٠.

[٤٩] Bosanquet, B.,: Some suggestions in Ethics, The Macmillan and co. Limited st. Martin's street, London, 1919, p. 133.

الإنسان من فرديتها وانعزالها وتتحد بالكل الاجتماعي العاقل. هذا الأمر يحدث من خلال الحياة لأجل الآخرين "التضحية"(*)، والخير الاجتماعي، والشر والعقاب، ووجود الضمير الأخلاقي(٥٠).

وتفسيراً لذلك، أكد بوزانكيت أن الفرد لابد وأن يضحي من أجل الآخرين تحقيقاً لقيم معينة، فمثلا يضحي الفرد من أجل إنقاذ الآخرين من الغرق، وهذا تحقيق لقيمة الحياة، كذلك يضحي بمصالحه من أجل مصلحة الآخرين تحقيقا لقيممة العدالة، وهكذا. إذ تعني التضحية أن «الإنسان لا يعني شيئاً إلا في إطار الكل الذي يحوي ذاته، ويحوي ذات غيره حتى يصل إلى الحقيقة القصوى.

من أجل ذلك، يجب على كل إنسان أن يؤمن بحياة اخرى ذات قيم أسمى وأعمق من قيمنا الأرضية فيها نكمل أعمالنا، ونشعر بالهدف الأسمى من الحياة والواقع الذي نعيشه، هذا يجعلنا ننظر إلى هذا الواقع نظرة كلية شاملة لا تنتهي بالموت ولا تباد بالفناء(٥١).

وعندما يدرك الإنسان ذلك سوف يتحقق الخير الاجتماعي الذي يبدأ - كما أكد بوزانكيت- من رفاهية الفرد من حيث هو تحقيق لقيم أخلاقية معينة ثم يتجه إلى رفاهية المجتمع. معنى هذا أن الخير غاية في حد ذاته للفرد وللمجتمع، وليس وسيلة غاية معينة، أي أن ما هو أخلاقي قيمة نسعى إليها ونلتزم بكل ما هو خير لي وللآخرين حتى يعم الخير للفرد وللمجتمع(٥٢).

ولابد أن نأخذ في الحسبان - كما رأى بوزانكيت- أن الإنسان الفردٍ والمجتمع ككل مخلوقات متناهية، والتناهي نقص، هذا النقص يجعل سلوكنا غير مكتمل، اذا لابد من معرفة القيم وتقديرها ثم تكوين إرادة خيِّرة غير محددة بأحكام مسبقة ولديها القدرة على أن توحد ذاتها بالقيم، إذا عرفنا كل هذا فإننا نستطيع أن نقول باننا نسير في طريق النجاح، نحو السلوك الأخلاقي سيراً أفضل ما يكون بالنسبة إلى وجود الإنساني المتناهي، كما يرى أن الضمير الأخلاقي لابد وأن ينتشر في كل مكان تجده فيه(٥٣).

خلاصة ذلك أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى الكمال الأخلاقي لأنه متناه، ولكنه يحاول الوصول إلى الأفضل فقط، ولأن أرواحنا متصلة في وحدة كبرى، فلابد من التضحية الفردية من أجل الوصول إلى الخير الأسمى، ويرى أن للناس ثلاثة مواقف تجاه السلوك الأخلاقي(٥٤).

موقف الرضا هذا الموقف يرفض أن يكون هناك شر، فكل شيء خير، وأن كل شيء على ما يرام في هذا الواقع الذي نعيشه، وهذا موقف تفاؤلي ساذج. أما موقف الرجاء والتوقع هذا يرى أن هناك شر، ولا كمال في الحياة، ولكنه يؤمن بجنة أرضية أو سماوية تقضي بالتعويض والإثابة عن هذا الشر واللاكمال. وعن الموقف الأخير وهو موقف اليأس والقنوط وهو يؤمن بمستوى معين من الخير والكمال لكنه ينكر إمكانية الوصول إليهما سواء في واقعنا وعالمنا الذي نعيش فيه أو في العوالم الأخرى(٥٥).

ونافلة القول، يرى بوزانكيت أن من يتبنى أيٍ موقف من هذه المواقف فقد ضل الطريق، لأن الأول ساذج، والثاني زائف، والثالث ساذج وزائف معا.

إذاً ما السبيل تجاه السلوك الأخلاقي؟ يقول بوزانكيت: أن على الإنسان أن يعرف أنه يموت دائما، أي أنه يفقد باستمرار أجزاء من بدنه ومن ممتلكاته، ومع ذلك فهو ينمو، أي يستحوذ على شيء لم يكن حاصلا عليه، وهذا ينبثق من طبيعته التي لا يستطيع التحلل من الالتزام بها

(*) التضحية لا تعني عند بوزانكيت بالإيثارية أي تفضيل الغير عني، بل تعني إبراز قيمة من القيم.

(٥٠) علي عبد المعطي محمد: في الفكر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٣٠٠.

(٥١) علي عبد المعطي محمد : تيارات فلسفية حديثة و معاصرة، مرجع سابق ص ٣١٦.

(٥٢) Bosanquet, B.,: Some suggestions in Ethics, op. cit., p. 36.

(٥٣) Ibid., p. 34.

(٥٤) Ibid., p. 37.

(٥٥) علي عبد المعطي: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، مرجع سابق، ص ص ١١٢: ١٩١ بتصرف.

وإذا فهم الإنسان هذا ولم يكن قلبه مع الأشياء المتغيرة والزائلة، وإنما مع كل كامل ثابت، يبقى خلال فقدانه المستمر لأجزاء من ذاته وفيما تملك إذا قبل هذا الغريزة والدافع الديني فإنه سيشعر وسيدرك معنى الحياة. معنى هذا أن الحياة مكسب وخسارة، خير وشر، ويجب أن نقبل الحياة على هذا النحو وكلما كان سلوكنا في عالم الواقع الممتلئ بالمتقابلات مُقادا بالإرادة الخيِّرة المشبعة بالقيم؛ كلما كان خيرا، أي يجب أن نقبل الحياة على هذا النحو، فلا يوجد خير بدون أن يفقد الإنسان شيئا ما.

٢- السياسة البوزانكيتية:

بادئ ذي بدء، وعلى المستوى النظري من فكر بوزانكيت، تتناول نظريته في الحياة السياسية؛ الحياة ذاتها ومن أجل ذاتها بمعنى؛ ما من إنسان يحيا إلا وتوجد دولة. حيث تحدَّث عن فعل الدولة من زاويتين، الأولى محاولة الوصول إلى الحقوق؛ والثانية يتناول فيها فعل الدولة على أنه نوع من العقاب[٥٦]. وبذلك فإن فعل الدولة هو ممارسة للإرادة الحقيقية الكلية.

وتفسيرا لذلك فإن الحقوق وهي الزاوية الأولى من فعل الدولة لها مبررات أخلاقية هدفها السعي إلى تحقيق حياة أفضل للفرد الذي يتم تحديد وظيفته في المجتمع، والتي تشكل سلوكه الحر في الواقع الذي يعيشه بشرط ألا يكون هذا السلوك متعارض مع القانون. لهذا لابد وأن تدعم الدولة بالقانون لكي تعكس الإرادة العامة، وهي الإرادة الحقيقية التي يؤكد عليها بوزانكيت. وهنا تكون سلطة الدولة مشروعة وعملها مبرر أخلاقيا. هذا بالإضافة إلى تأكيده؛ أنه على الرغم من أن الدولة والقانون يستخدمان الإكراه وضبط النفس، إلا أنهما يعتبران إيجابيان من حيث أنهما يوفران الظروف الملائمة للحرية وتنمية الشخصية الأخلاقية الفردية، ومن ثم الشخصية المعنوية للمجتمع[٥٧].

وإذا وجد شر، فلابد من وجود العقاب أو القوة، وهي الزاوية الثانية من فعل الدولة والتي لها مبررات أخلاقية هدفها الارتقاء بالذات الفردية التجريبية النفعية إلى الذات الكلية العامة العاقلة[٥٨]. بمعنى أن جوهر المجتمع الإنساني يتكون من الذات العامة التي تتمتع بالإرادة وبالحياة التي تنبثق وتمارس خلال المجتمع، وتتمثل تلك الذات العامة في صورة الإرادة العامة، وهنا يكون الإنسان الذي يكوِّن الدولة هو نفسه الإنسان الأخلاقي الذي تتغلغل فيه الإرادة العامة، وترتفع إلى مستوى أعلى وتبلغ فرديته الأصيلة المرتبطة بالكل العضوي إلى حد الارتفاع إلى الوحدة الكاملة مع الكل الاجتماعي[٥٩].

وخلاصة القول أن مفهوم السياسة عند بوزانكيت يتلخص في الإرادة العامة الحقيقية، والتي تتضمن فكرة الوحدة العضوية التي تُخلص الفرد من عزلته، وترتفع به إلى مستوى يمكنه من الارتباط العضوي بالمجتمع، حيث يوجد فرد، أسرة، عائلة، طبقة، مجتمع، دولة، نوع إنساني، إنسانية، ثم يستمر العقل في التحرك لكي يشكل عالمه وذاته بإزالة التناقض في وحدة أعلى، وتظل الروح الإنسانية تنتقل على هذا النحو وتتفتح على المجتمع بالقيم الأخلاقية والإبداع الجمالي التي يرى بوزانكيت أنهما دم المجتمع[٦٠].

٣- الدين والفلسفة والعلم في الواقع البوزانكيتي:

يقر بوزانكيت بضرورة إبقاء كل فرد على عقيدته الدينية، فما تتطلبه كل عقيدة، حقيقة وما تعطيه حقيقة[٦١]. حيث يظهر إيمانه بمبدأ الحقيقة هي الكل اتجاهه نحو الترابط

---

[٥٦] علي عبد المعطي: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، مرجع سابق، ص ١٧٨.

[٥٧] انظر: By net: Stanford Encyclopedia of philosophy Bernard Bosanquet.
وكذلك عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفة، ج١، مرجع سابق، ص ص ٣٧٦: ٣٧٨ بتصرف.

[٥٨] علي عبد المعطي محمد: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، ص ١٨٠.

[٥٩] net: Stanford Encyclopedia of philosophy, Bernard Bosanquet. By

[٦٠] علي عبد المعطي محمد: في الفكر الحديث والمعاصر، ص ٢٩٥.

[٦١] علي عبد المعطي محمد: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، ص ٢٢٦.

والكلية، هذا الاتجاه يستخدمه هو نفسه في تقييمه لحقيقة الدين[٦٢]. إذ يدعو إلى الخلاص من الانعزال بأن نلتحق بالكل، أي أن نخضع في وحدة أكبر وأعظم حبذا لو كانت الخير الأعظم[٦٣]. بمعنى أن الهدف من الدين هو الحصول على الخير الكامل، هذا الخير هو الحياة التي علينا أن نحارب من أجلها.

وقد رأى بوزانكيت أن العقائد الدينية لها ناحيتان هما الإرادة والحكم، ويتبلور هذا في الإخلاص والنقاء القلبي، فبالعقيدة وحدها مُدعمة بالعبادة يتغلغل الإنسان إلى أعماق الذات، ويرفض الشر. وبذلك فإن كلا من العقيدة والدعاء يُدعما الدين ويقويانه بواسطة الطقوس الدينية المختلفة، مما يجعله راسخا في القلوب ومتعمق في الوجدان[٦٤].

وعليه؛ يدعونا الدين أن نحافظ على التجربة الدينية وأن ندخل فيها، ذلك لأنه لا يشبه أي شيء آخر، ففيه مثلا من الضعف تصنع القوة، ومن الحتمية تقوم الحرية، وهذه مسائل نقبلها دون أن نناقشها، لأنها أسمى من النقاش والاستدلال، حيث لا يفقد الفرد حريته في خضوعه للخير الأعظم، ولن يكون تابعا باتحاده مع الوحدة العظمى، لأن هذا الخضوع وذلك الاتحاد؛ إنما هو خضوع واتحاد مع وحدة الحب والإرادة مع الخير الأعظم، وهذه الوحدة تجعل الإنسان حرا قويا.

اذا الدين - عند بوزانكيت- لا يعوق الحياة وتقدمها، لأن لرجل الدين فهم صادق بالنسبة للأمل والتقدم كأساسيين للحياة، إنه يحتويهما في ذاته، وهما متصلان بالخير الذي يتحد به. ومادام الأمر كذلك فهما يقودان إلى الرفاهية والازدهار لا إلى الجمود والتأخر[٦٥].

هذا، وقد رفض بوزانكيت صلة الدين بالفلسفة، وذلك لأنه مناقضاً لها، إما بصدد فلاسفة العصور الحديثة فقد رأى أن الأمر شخصي بالنسبة لهم؛ لكونهم يرفضون أو يقبلون التوفيق بين الفلسفة والدين -وهذا ما يعبِّر على وجهات نظرهم فقط- أما بوزانكيت رفض رفضا تاما الاتصال بينهما، ورأى أن الفلسفة تشوه الدين، وتقضي على الإيمان وتزعزع العقيدة[٦٦].

كذلك الأمر بالنسبة للعلم والتعليم، فقد اعترف بأهميتهما، ورأى أن التعليم لم يكن مجرد اكتساب معارف علمية فقط، بل أيضا اكتساب قيم[٦٧]، إلا أن مجالهما ليس هو مجال الدين، وإذا امتزجا بالدين؛ أفسداه وجعلاه عُرضة للتدهور والتحطيم[٦٨].

هكذا يكون الدين -عند بوزانكيت- حقيقة كلية ووحدة لا تقبل الانقسام، وإذا تدخلت الفلسفة أو العلم لكي يقسموا أو يحللوا هذا الدين، فإنه سرعان ما يتلاشى ويتدهور. لهذا يدعو كل فرد بصدد المزاج الديني، وحقائق الدين- كاتحاد الأرواح وطبيعة الخطيئة والخلود- أن يكون كليا وغير متسائل؛ كالطفل الصغير في عدم أسئلته وفي براءته وقبوله للمسائل بدون تمحيص أو تدقيق[٦٩].

ويبقى التساؤل عن منزلة الإبداع الجمالي وما ينبثق عنه من فن في هذا الواقع الحياتي الذي نعيش فيه أمام ما هو أخلاقي؟ وكيف يمكن أن يتحد الجمال والفن بالأخلاق كموضوعات من الواقع الذي نعيشه؛ في ظل فكر بوزانكيت؟

---

[٦٢] net: Stanford Encyclopedia of philosophy, Bernard Bosanquet. By

[٦٣] علي عبد المعطي محمد، المرجع السابق، ص ٢٣٣.

[٦٤] المرجع السابق، ص ٢٣٨.

[٦٥] علي عبد المعطي محمد: أعلام الفلسفة الحديثة، ج٢، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية، ب. ت، ص ص ٨٠ – ٨١.

[٦٦] علي عبد المعطي محمد: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، ص ٢٢٧.

[٦٧] net: Stanford Encyclopedia of philosophy, Bernard Bosanquet. By

[٦٨] علي عبد المعطي، المرجع السابق، ص ٢٢٧.

[٦٩] المرجع السابق، ص ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

٤- الجمال البوزانكيتي Bosanquet Aesthetics:

مصطلح الاستطيقا هي كلمة يونانية تستخدم بصفة عامة لدراسة الجمال الحسي بما في ذلك جمال الطبيعة وجمال الفن في وقت واحد[٧٠]. أما الفن بالمعنى العام هو جملة من القواعد المتبعة لتحقيق غاية معينة جمالا كانت أم خيرا أم منفعة[٧١].

ولما كان الجمال ينبثق عنه الفن إذ لا يوجد من يدرس جماليات بدون الرجوع إلى الأعمال الفنية ذاتها حتى يمكنه الوصول إلى تحديد مفهوم للجمال، ووضع تعريف كلي للفن، اذا فالصلة وثيقة بين المجالين[٧٢].

ويُلاحظ من خلال القراءة الأولية للجمال البوزانكيتي أنه لا يهتم بالأعمال الفنية وما يُنتجه الفنان. ومن ثم «لا يهتم بإرجاع الصورة أو الرسم إلى مقاييس مثل درجات الألوان وأنواعه المختلفة، الظلال والانعكاسات الضوئية ... إلخ»[٧٣]. وعلى هذا لا يكون الإنتاج الفني كشيء يُباع أو يُشترى، إذ لا يكون الجمال - عنده- جمالا حسيا وتجريبيا يبحث في الأعمال الفنية من ناحية التنفيذ والإجراءات، لكنه جمالا عقليا وروحيا، حيث يدرس الوعي الجمالي عبر التاريخ وعبر الحياة.

من هذا المنطلق أكد بوزانكيت بوجود معنيين للجمال: معنى ضيق[*] يرفضه، وآخر واسع يقبله. وما يهمنا هنا المعنى الواسع، والذي هو نوعان: جمال بسيط وجمال مركب، هذان النوعان يوضحان الجمال في الواقع، والجمال في الفن[٧٤].

(أ) الجمال، في الواقع وفي الفن:

لا يحتاج هذا النوع من الجمال إلى جهد أو بصيرة في فهمه، فهو كل ما يُسعد أي إنسان في الواقع الخارجي، أي ما يُسعد وحدة النفس والبدن مثل النغمة البسيطة، الإيقاع السهل، الخطوات في مجال الرقص، الوردة، الوجه الممتلئ بالشباب والحيوية ... وغيرهم[٧٥]. هذا النوع من الجمال يتفق مع القول بأن الشيء الجميل يجب أن يكون خير أو نافع، لهذا ينبثق عنه الفن النفعي، ومن ثم فهو وسيلة لغاية وليس غاية في ذاته.

اذا فلا مناص من القول بأن بوزانكيت لم يستغني عن الجمال في الواقع ويعترف بأنه حقيقي، لأنه يؤثر في المجتمع ويتأثر به إيجابا، حيث يهتم بالآثار الجمالية البسيطة، والتي لا تمثيل لها، والتي تهتم بالنزعة التحليلية للجمال التي ترد الموضوع الجمالي إلى عناصره الأولية[٧٦]، وهذا يؤدي إلى التشتت بين الأجزاء إذا وجدت بمفردها، لذلك لا يمكن أن نفصل هذا النوع من الجمال عن الجمال المركب، أي الجمال في الفن، والذي يهتم بالآثار المعقدة للاتجاهات الجمالية، والتي تتطلب معرفة مسبقة عن الواقع بموضوعاته. هذه الآثار تنطبق على فروع ضخمة لنشاط الفن الجميل، والتي لابد وأن نتمثلها عن طريق عالم وعينا[٧٧] - الذي هو أكبر وأعمق من الواقع الخارجي- ثم نعالجها ونعيد تركيبها وخلقها، وبهذا يحتوي على أكثر مما يحتوي الجمال في الواقع، ومن هنا يأتي التعقيد.

---

[٧٠] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٤٨.

[٧١] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٦٥.

[٧٢] راوية عباس: القيم الجمالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ١٨٧.

[٧٣] محمد علي أبو ريان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، مرجع سابق، ص ٦٨.

[*] لم يقبل بوزانكيت **المعنى الضيق** للجمال بمعنى كل ما هو يسعد ويُسر الإنسان ويشمل أحاسيسه العادية، وما يحقق له اللذة. ورأى أن هذا المعنى طبيعي ويطلبه الإنسان طالما يحيا. لكنه يقبل **المعنى الواسع** للجمال، وهو **الطيب الجمالي** والذي هو نوعان؛ جمال بسيط وجمال مركب.

[٧٤] علي عبد المعطي: في الفكر الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٣١٧.

[٧٥] المرجع السابق، ص ٣١٧.

[٧٦] Bosanquqet, B.,: Three lectures on Aesthetics, op. cit., p. 42.

[٧٧] Ibid., p. 95.

وبناء على ذلك فإن الجمال ليس محاكاة أو تقليد للطبيعة، بل ينبثق عنه الجمال في الفن.
وهذا يعني ألا نستغني عن الجاب المادي في مجال "الجمال في الفن"، فلا يمكن اذا أن نستغني عن الواقع الخارجي بموضوعاته الجمالية والتي لابد وأن توجد بجانب الجانب المثالي "العقلي" من تمثيلات وتخيلات وإدراكات، أي لابد وأن ترتبط بعالم الواقع الخارجي.

يقول بوزانكيت: إذا حاولنا أن نحذف الجانب المادي من الجمال في الفن، فإننا سوف نعيد الجانب العقلي إلى لاشيء، حيث أن تخيلنا يجب أن يكون تخيل شيء جمالي معين، وإذا لم تعطى لهذا الشيء الجمالي بناءه المحدد، فإننا نمر من دائرة المثال الجمالي إلى دائرة الفكر المجرد[٧٨].

معنى هذا أنه إذا وجد الجانب المثالي خالي من الموضوعات الجماليةٍ الموجودة في الواقع الخارجي، فإنه يكون مثال مجرد، ليس له علاقة بالواقع، لأنه خالص بعيدا عن المنفعة العامة للفرد وللمجتمع، وهنا يعتبر هذا المثال فكر عقلي تأملي، أي تفكير من أجل ذاته، هذا التفكير يرفضه بوزانكيت، ويدعو إلى التفكير من أجل التطبيق على أرض الواقع.

هنا يفرِّق بين التأمل لذات التأمل "التأمل المحض"، والتأمل الخلاق النشط، هذا الأخير يساعد على إدراك الخلفية التي تقف وراء إدراكنا للموضوع الجمالي، أي إدراكنا لما وراء كل عمل فني في الواقع الخارجي، حيث «يكون طابع التأمل طابعا خلاقا، وأكثر أنواع البشر تحقيقا للخلق هو الفنان الذي هو مبدع، متأمل، وبذلك يعتبر الإدراك التخيلي إدراكا خلاقا نشطا مثله مثل التأمل[٧٩]. وهذا يعني أن الذات الإنسانية بمفردها لا يمكن أن تدرك موضوعات الجمال في الواقع الخارجي، فلابد لها من أن تقيم علاقة مع هذه الموضوعات، ومن هذه العلاقة تعلو الذات بموضوعيتها؛ تاركة المحسوسات والمعقولات حتى تصل إلى المطلق، هذا لم يتطور بشكل ديالكتيكي - كما عند هيجل- بل إن الوعي الجمالي وموضوعات الجمال عند بوزانكيت لهما أساسهما في المجتمع[٨٠].

هكذا يُعلي بوزانكيت من قيمة الجمال في الفن وفي نفس الوقت لا يستغني عن الجمال في الواقع، حيث لا يوجد فاصل بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة، وهنا لا يتجاهل بوزانكيت الدور الذي يلعبه الجمال في الواقع، بل واعترف بأنه حقيقي طالما أنه يرتبط بالجمال في الفن، وهذا ما جعله يعلي من قيمة الجمال سواء في الواقع أم في الفن أمام ما هو أخلاقي، الأمر الذي يؤدي إلى تحديد علاقة الجمال بالأخلاق اليوزانكيتية لكي يمكن الإجابة على التساؤل الأخير ألا وهو: هل جعل بوزانكيت الأمر الأخلاقي هو المحدد للموضوع الجمالي والإبداعي في الواقع الاجتماعي؟

(ب) الجمال وعلاقته بالأخلاق:

يُلاحظ من خلال القراءة السابقة أن النوع الأول من المعنى الواسع للجمال عند بوزانكيت وهو الجمال البسيط، والذي ينبثق عنه الفن في الواقع، هذا النوع يحتوي على ما هو خير وأخلاقي للمجتمع، أي أن هذا الجمال يضم الأخلاق بين ثناياه.

وحيث أن الثابت في اتجاه الفكر البوزانكيتي هو المبدأ القائل الحقيقة هي الكل، لذا طبق فكره على الواقع بما فيه من موضوعاتٍ جمالية، وأقر بأن الأشياء والموضوعات الجميلة وإن كانت تختلف من شخص إلى آخر نظرا لاختلاف الأذواق، إلا أن هذه الأشياء تذوب في وحدة أعلى وفي "كل" يجمعها، لهذا لا ينفصل هذا النوع من الجمال عن الجمال المركب، وهو الجمال في الفن، والذي ينبثق عنه الفن للفن.

هنا لا يقلل بوزانكيت من قيمة الجمال أمام قيم الأخلاق والدين، بل جعله –أي الجمال بنوعيه- والأخلاق في منزلة واحدة، ذلك لأن كل من الجمال والأخلاق جزء لا يتجزأ من وجود

---

[٧٨] Ibid., p. 87.

[٧٩] Bosanquet, B., A History of Aesthetics, op. cit., p.19.

[٨٠] net: Stanford Encyclopedia of philosophy, Bernanrd Bosanquet. By

الإنسان، فهما ينتجان من ذات عاقلة؛ مدركة؛ تدرك الجمال عن طريق الإدراك التخيلي، وتدرك الأخلاق عن طريق الإدراك المباشر "الحدس"، وكلاهما في العقل الذي يحوي الإدراك، هذا الإدراك إذا لم يرتبط بموضوعات الواقع الخارجي، سواء الجمالية منها أم الأخلاقية من قيم ودين وسياسة؛ يُعتبر إدراكا جزئيا.

إلا أن هذا لا يعني أن الجمال كقيمة لابد وأن يرتبط بالخير كقيمة، فليس من الضروري أن يكون كلما هو جميل خيرا أو أخلاقي، والعكس صحيح، أي أن الجمال الرفيع المنبثق عن الطبيعة من الممكن ألا يجلب الخير، فالأخلاق ليست هي مقياس الجمال أو الفن.

من هذا المنطلق، أكد بوزانكيت على أنه من الممكن أن تتعارض الظاهرة الجمالية مع الخير الذي تعارف عليه الناس، فالجمال مطلب ضروري للإنسان يسعى إلى تحقيقه سواء جلب له خير أم عجز عن أن يجلبه، فهو مطلب يطلبه الإنسان بصفته كائنا عاقلا، لهذا وضح أن النواحي السيكولوجية كالخير أم الشر لا ترتبط بما هو جميل، وإنما ترتبط بأحوالنا النفسية[٨١]. أي ترتبط بذات الإنسان وما ينبثق عنها سواء إرادة خيرة أم غير ذلك، هذه الذات لابد وأن تتحد بالموضوع الأخلاقي في الواقع، لكي تسمو عن المحسوسات والمعقولات، وتتجه إلى المطلق.

وفي هذا الإطار تأتي الإجابة على التساؤل الأخير المطروح، حيث أن الآمر الأخلاقي ليس هو المحدد لمستوى العمل الجمالي والفني، فلم تطغى الأخلاق على الجمال والفن، كذلك لا ينصب الجمال والفن على ما يقدم من نماذج أخلاقية، وهنا أعلى بوزانكيت من شأن ما هو إبداعي وجمالي في الواقع الخارجي، وفي نفس الوقت لم يقلل من شأن الأخلاق والقيم في هذا الواقع، مع اعترافه بعدم انفصالهما طبقا لفكره النظري.

النتائج :

بعد رحلة البحث في فكر بوزانكيت؛ خرجت الباحثة بنتائج، وهي إجابات على الأسئلة، والتي تمثِّل تساؤلات البحث والتي طرحت في مقدمته، وهذه الإجابات هي:

١- إن نشأة بوزانكيت الدينية؛ جعلته يرفض الفكر التجريبي والذي كان سائداً في عصره، ويتجه إلى الفكر المثالي الذي يميل إلى التعاليم الدينية والروحية، هذا ما جعله يتجه إلى أستاذه بالجامعة توماس هل جرين والذي كان متأثرا بأفكار هيجل المثالية.

- ينتمي بوزانكيت إلى الهيجلية الجديدة وليست القديمة،- ولاسيما الجناح اليمني منها، مثله في ذلك مثل برادلي فيلسوف عصره- فهو لم يكن مرددا ومكررا لأفكار هيجل، بل انتقده في العديد من الأفكار، على الرغم من تأثره به، إذ بدأ مثاليا متأثرا بالفكر الهيجلي، وانتهى مثاليا متأثرا بفكر برادلي.

٢- إن نظرة بوزانكيت للواقع هي نظرة شمولية كلية كونية، تنظر إلى الوجود كله بما يحمل من موضوعات، أي تنظر إلى الوجود من جميع زواياه، فكل ما في الوجود يتحد في "كل" واحد، وهذه نظرة مثالية يشوبها الواقع، وكأن الواقع يبعد عن التجربة على الرغم من اتصاله بها.

٣- اتضح في الفكر البوزانكيتي وجود تشابه بين إدراك الحكم الواقعي مع الحكم القيمي؛ الأخلاقي والإبداعي، فعلى الرغم من اختلاف كل من الحكمين؛ إلا أن هذا لا يعني فصلهما، فطبقا لمبدأه "الحقيقة هي الكل"، لا تستغني أحكام الواقع عن الذات الإنسانية وما تحمل من إدراك وإبداع، كما لا تستغني أحكام القيم وما تحمل من تدبر وتصور وتخيل وإبداع؛ في الذات الإنسانية عن الواقع. وبذلك يدخل الحكم الواقعي مع الحكم القيمي في البناء الكلي الترابطي.

[٨١] علي عبد المعطي محمد: تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة، ص ٣٣٠.

٤- عالج بوزانكيت موضوعات الواقع الخارجي في إطار مبدأه الحقيقة هي الكل، والنسقية، حيث أزال الفواصل بين الفكر الداخلي للإنسان وواقعه الخارجي بموضوعاته المختلفة، والتي لا يمكن أن تفيد شيئا ما؛ في الواقع إلا إذا اتحدت بالذات الإنسانية، مما يترتب عنه؛ قدرة الذات على أن تسمو بموضوعيتها لكي تدرك ما هو قيمي وأخلاقي وإبداعي في ضوء الكل، هذا الأمر يحدث من خلال التضحية لأجل الآخرين، وذلك لإبراز القيم الأخلاقية وليس للإيثارية، كما يحدث أيضا لوجود الضمير الأخلاقي، ومن ثم الخير الاجتماعي.

- وبناء على ذلك ضم بوزانكيت الأخلاق وما تحمل من قيم في المجتمع بين داخل الجمال في الواقع، ومن ثم ينبثق عنه الفن النفعي، الذي بدوره لا ينفصل عن الجمال في الفن، وبهذا يُعد بوزانكيت من أبرز الفلاسفة المعاصرين الذين اهتموا بالأخلاق والقيم وعلاقتها بالإبداعات الإنسانية في إطار فلسفي مثالي منذ البداية حتى النهاية، فلم تطغى الأخلاق على الجمال والفن، بل أعلى من شأنهما أمام الأخلاق، وفي نفس الوقت لم يقلل من شأن الأخلاق والقيم؛ على الرغم من اختلاف الناس في ظروفهم وأذواقهم وأهوائهم وميولهم، إلا أنهم لم ينفصلوا عن الواقع التجريبي بما يحملوا من قيم وإبداعات تخص "الكل" وليس الفرد فقط، ومن ثم يرتقي ويتطور هذا الواقع وتستقيم الحياة، وهذا هو الجديد الذي أتى به بوزانكيت.

٥- نتيجة لما سبق، لا يكون الأمر الأخلاقي عند بوزانكيت هو المحدد لمستوى الإبداع الإنساني، ومن ثم الإبداع الجمالي والفني، كذلك لا ينصب الجمال والفن على ما يُقدم من نماذج أخلاقية.

٦- لكن يبقى التساؤل الأول المطروح وهو: كيف يتعامل العقل الإنساني في ظل فكر بوزانكيت مع هذا الواقع الخارجي وما يحمل من قيم نأمل؛ في تحسين تطبيقها على أرض الواقع؟

- يجيب بوزانكيت بضرورة وجود الجانب العقلي للإنسان مع الجانب المادي، بما فيه من موضوعات وظواهر خارجية، حيث يعطي العقل هذه الموضوعات مساحة أوسع نظرا لخضوعها للتخيل والتدبير والتصور والإبداع، إذ لابد من ارتباط ما في العقل من فكر؛ مع موضوعات الواقع الخارجي، مما جعله يؤكد على ارتباط القيم من أخلاق ودين وسياسة وعلم؛ بالجمال والفن باعتبارهم جميعا بموضوعات مرتبطة بالواقع الذين نعيشه.

وترى الباحثة أنه لو طبقنا أفكار بوزانكيت النظرية، وأُحسن تطبيقها على أرض الواقع، بمعنى أنه إذا سعى كل منا إلى الخير والمنفعة لنا وللآخرين؛ سوف ينصلح أمر الفرد والمجتمع، ذلك لأننا في سفينة واحدة لو انصلح حالها لوصلت إلى بر الأمان. لكن نظرا لوجود أطماع بشرية تحول دون حدوث ذلك، أصبح من الصعب الآن التطبيق العملي لهذه المثالية المطلقة في مجتمعات يسودها الذاتية والنفعية، وتُغلب المصلحة "الفردية" على مصلحة "الكل"، إلا أنه لازال هناك أمل عند كثير من الناس للوصول إلى المثالية ولاسيما المطلقة منها، والتي تمكن من تغليب مصلحة الكل على الفرد.

المراجع

أولاً: المراجع والموسوعات العربية:

١- المراجع العربية:

١- أحمد أمين، زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، ج٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٤٩م.

٢- إمام عبد الفتاح إمام: الهيجلية الجديدة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١م.

٣- چورج سانتيانا: الإحساس بالجمال "تخطيط لنظرية في علم الجمال"، ترجمة محمد مصطفى بدوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٩٧٠م.

٤- راوية عبد المنعم عباس: القيم الجمالية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

٥- رودلف متس: الفلسفة الإنجليزية في مائة عام، ترجمة فؤاد زكريا، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩١٢م.

٦- عبد الرحمن بدوي: فلسفة الجمال والفن عند هيجل، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م.

٧- عبد الفتاح الديدي: فلسفة هيجل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٨- علي عبد المعطي محمد: أعلام الفلسفة الحديثة، ج٢، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية، ب.ت.

٩- علي عبد المعطي محمد: بوزانكيت قمة المثالية في إنجلترا، الهيئة المصرية العامة للكتاب للتأليف والنشر، الإسكندرية، ١٩٧٣م.

١٠- علي عبد المعطي محمد: تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م.

١١- عبد عبد المعطي محمد: في الفكر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

١٢- محمد توفيق الضوي: الفلسفة الألمانية في القرن التاسع عشر، دار الوادي للطباعة، دمنهور، ١٩٩٩م.

١٣- محمد توفيق الضوي: مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهرة والحقيقة "دراسة في ميتافيزيقا برادلي"، منشأة المعارف، ط١، الإسكندرية، ب. ت.

١٤- محمد ثابت الفندي: مع الفيلسوف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

١٥- محمد علي أبو ريان: الفلسفة ومباحثها، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٦م.

١٦- محمد علي أبو ريان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، ط١، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

١٧- هربرت مركيوز: العقل والثورة، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢- الموسوعات والمعاجم العربية:

١- آرمسون، جوناثان، ري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م.

٢- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٩م.

٣- عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٤م.
٤- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٥- ميخائيل أنوود: معجم مصطلحات هيجل، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ثانياً: المراجع والموسوعات الأجنبية:

١- المصادر الأجنبية:

6- Bosanquet, B.,: A History of Aesthetics, Cambridge press university, London, 2011.
7- Bosanquet, B.,: Three lectures on Aesthetics, pub., Macmillan, London, 1915.
8- Bosanquet, B.,: Some suggestions Ethics, The Macmillan and co. limited St. Martin's street, London, 1919.
9- Bradley, F. H.,: Appearance and Reality, George Allen & Unwin Ltd. Ruskin House, London, 1899.
10- Bradley, F. H.,: Ethical studies, Cambridge university, London, 1876.
11- Hegel, G.W.F.,: On Art, Religion and the History of philosophy, trans. by E.S. Haldane, Edited by, J. Glenn Gray, New York, 1970.

٢- المراجع الأجنبية:

12- Lillie. William, An Introduction to Ethics, university paper backs, 3rd ed., London, 1967.
13- Mackenzie, John, S., Amanual of Ethics, university Tutorial press, London, 1962.
14- Plotinus: Ennead, Greet Books of western world, ed., in chief Robert Maynard Hutchins, vol.17, Br. inc, university of Chicago, 1952.

٣- الموسوعات الأجنبية:

15- Ewing, A.C.,: Idealism in the concise Encyclopedia of western philosophy and philosophers, Edited by: J. O urmson and Jonatham Ree, Routledge, London and New York, 1989.
16- Frankana, W.K.,: Value and valuation, in Encyclopedia of philosophy, Vol. 7, Macmillan company Press, New York, 1989.
17- Stolnitz, J.,: "Logic" in Encyclopedia of philosophy, Vol.2, The Macmillan co., Free Press, N. Y., 1972.

مراجع عبر الموقع الإلكتروني: By net.

18- Stanford Encyclopedia of philosophy Bernanrd Bosanquet.